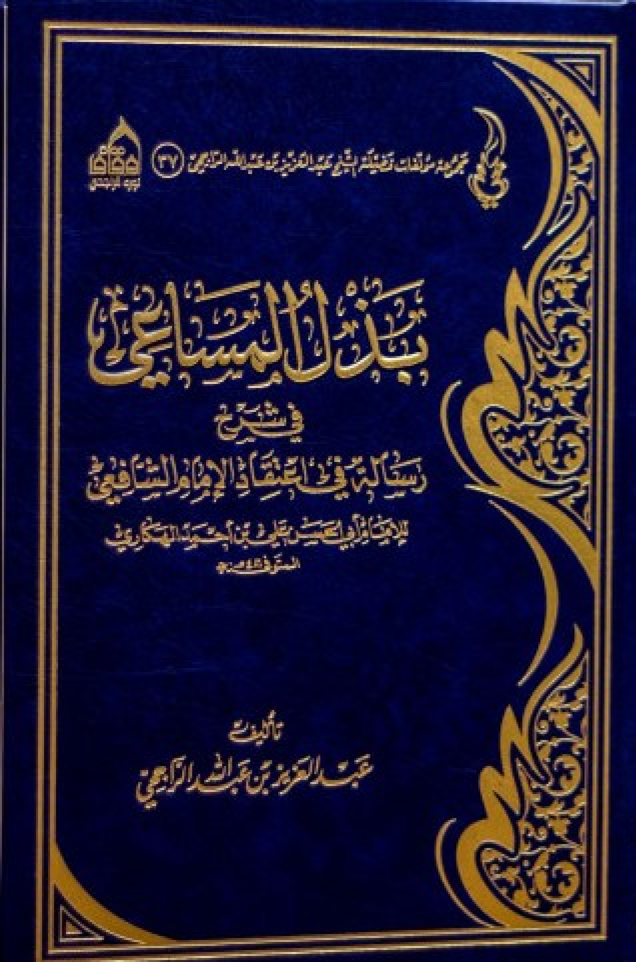

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٣٧
بذل المساعي
في شرح
رسالة في اعتقاد الإمام الشافعي
للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري
تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي ثم المدني، أشهد أنه رسول الله وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين، وهو خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام لا نبي بعده صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وعلى أصحابه وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإننا نحمد الله ﷻ، ونسأله أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، ونسأله أن يصلح القلوب والأعمال والنيات، وأن يتولانا برحمته.

❐ التعريف بالرسالة:

رسالة في اعتقاد الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ؒ ورضي عنه، وهو أحد الأئمة الأربعة ـ وهم: الإمام أبو حنيفة ثم الإمام مالك بن أنس ثم الإمام الشافعي ثم الإمام أحمد بن حنبل ـ أئمة الحق والهدى، وكلهم من أهل السنة والجماعة؛ على ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون.

وعقيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ ـ هذه ـ هي عقيدة الأئمة كلهم، والتي درج عليها السلف من الصحابة والتابعين، تلقوها عن نبيهم محمد ﷺ، فليس بين أهل السنة والجماعة اختلاف في المعتقد ـ كعقيدتهم في الله وفي ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وفي صفاته وفي الكتب وفي الملائكة وفي الكتب المنزلة وفي الرسل وفي اليوم الآخر وفي الإيمان وفي الإسلام وفي الإحسان وفي القضاء والقدر وفي الأسماء، وغيرها ـ والاختلاف إنما هو في الفروع ـ كأحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج والبيع والشراء ـ؛ بسبب ما بلغهم من النصوص، وما لم يبلغهم، وما صح عندهم من الحديث وما لم يصح.

❐ ترجمة المؤلف:

هذه الرسالة في عقيدة الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي لم يكتبها هو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإنما كتبها بعض المتأخرين ممن جاء بعده من أتباعه، وهو: الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر الهكاري ـ المولود سنة أربعمائة وتسعة، والمتوفى سنة أربعمائة وستة وثمانين ـ، والهكاري نسبة إلى الهكارية، وهي ولاية من أعمال الموصل من العراق، وقال ابن خِلِّكَان: هي نسبة إلى قبيلة من الأكراد [(١)].

قال السمعاني: **(وَكَانَ كَثِيْرَ العِبَادَة، حَسَنَ الزَّهادَة، مقبولاً، وَقُوْراً)**[(٢)]، وقال الذهبي: **(الشَّيْخُ العَالِمُ الزَّاهِدُ)**[(٣)]، وقال أيضا: **(وكان صالحاً زاهداً ربانياً ذا وقار وهيبة)**[(٤)]، وقال أيضا: **(عَاشَ**

(١) انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٤).
(٢) انظر: الأنساب للسمعاني (١٣/ ٤١٧) .
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣١).
(٤) انظر: العبر في خبر من غبر (٢/ ٣٥٢).

سَبْعاً وَسَبْعِيْنَ سَنَةً، وَلَهُ تَوَالِيفُ، وعنايةٌ بِالأَثرِ، رَحِمَهُ اللهُ، مات سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ بِالهَكَّارِيَّة)[1].

والظاهر أن الحديث لم يكن صناعته، ولذا شدد العلماء على عدم قبول روايته، وإنما اشتهر بالزهد والعبادة.

■ **مسألة: جاء في ترجمة الهكاري أنه من كبراء الصوفية فهل يضر هذا؟**

التصوف أقسام، فهناك تصوف منحرف، وهناك تصوف الزهد والورع، والهكاري ليس من المتصوفة المنحرفين، ثم إنه نقل الرسالة ونحن نستفيد من الرسالة من كلام الإمام الشافعي، بغض النظر عن اعتقاد الهكاري الذي جمعها.

فهذه الأسانيد التي نقلها منها الصحيح، ومنها ما له شواهد، وعلى هذا فتكون الأسانيد التي نقلها كلها ثابتة، ليس العمدة على نقله إنما العمدة على غيره، فعلى هذا تكون العقيدة التي نقلها عقيدة سليمة وثابتة صحيحة.

❐ **اسم الكتاب:**

اعتقاد الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رضي الله عنه.

❐ **موضوعه:**

جمع المؤلف فيه أقوال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في أصول الدين ونحوه، وقد استفاد ممن سبقه ممن ألف في مناقب الشافعي، فذكر جملة من الأقوال عن طريقهم ـ كما في أسانيد المؤلف ـ.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٢).

❐ توثيق نسبته للمؤلف :

أولًا: أن الكتاب مروي بالسند إلى المؤلف كما أن جمعاً من أهل العلم سمعوا الكتاب بالسند إلى مؤلفه، كما في السماعات وأكثرهم من أئمة الحنابلة المقادسة وغيرهم.

ثانيًا: نقْلُ أهل العلم عن كتابه، ومنهم: ابن قدامة في (إثبات صفة العلو)، والذهبي في (العلو) (رقم ٤٠٤)، وفي (السير) (١٠/ ٧٩) ـ وسماه عقيدة الشافعي ـ، والسبكي في (الطبقات) (١/ ٢٩٧)، والروداني في صلة الخلف (ص٧١-٧٢) وساقه بالسند، والسيوطي في (الأمر بالاتباع) (٣١٣).

ثالثًا: نقْلُ المؤلف عن الأئمة المعروفين من كتب معتمدة، مثل: كتاب الشريعة للآجري، وأصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي، وآداب الشافعي لابن أبي حاتم، وذم الكلام للهروي(١).

رابعًا: أن هذه العقيدة موافقة لنصوص الكتاب والسنة، فلا تخالفهما، وهي وموافقة لاعتقاد الأئمة من أهل السنة والجماعة.

وبهذا يتبين أن الرسالة ثابتة للمؤلف وليس فيها شك ولا طعن لأحد.

وبهذا يطمئن طالب العلم بأن هذه العقيدة التي نُقلت عن الإمام الشافعي ثابتة وصحيحة.

وقد يسر الله شرح هذه الرسالة في مجالس علمية، ولتعم الفائدة فقد تم العمل على الشرح وإعداده للنشر.

---

(١) تم مقابلة المتن بالنسخة التي خرجت بتحقيق د.عبدالله بن صالح البراك ـ جزاه الله خيرا ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ضمن مجموع فيه ثلاث رسائل.

ثبت الله الجميع على الهدى، ورزقنا الفقه في دينه والبصيرة في شريعته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

✍ كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي



سند الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(أخبرنا الشيخ الفقيه ـ الإمام العامل ـ شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن الشيخ الإمام العالم العامل، عماد الدين إبراهيم ابن عبدالواحد المقدسي ـ أبقاه الله ـ قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفتوح محمد بن محمد البكري قراءة عليه ونحن نسمع قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي الرقي إجازة، قال: أنبأنا الإمام شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري ـ رحمه الله ـ قال:

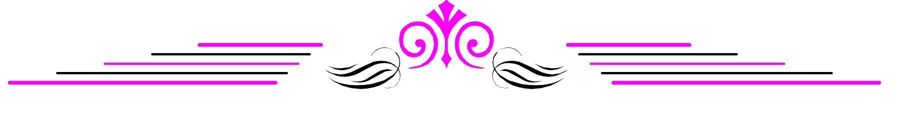
حدثنا أبو نصر أحمد بن مهدي بن سليمان المقري، قال: أنبأنا أبو نصر عبدالوهاب بن عبدالله المقري بدمشق، قال: أنبأنا القاضي أبو القاسم يوسف بن القاسم الميانجي بدمشق، قال: قرأت على الحسين بن محمد بن المأمون وأبي بكر الحميدي وأحمد بن علي، قلت: حدثكم الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ في رسالته المصرية إلى عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله:[(١)])



هذا سند الرسالة إلى الإمام الشافعي رحمه الله.



(١) انظر: الرسالة للشافعي (١/٨).



تحميد الشافعي رضي الله عنه

قال المصنف رحمه الله:

(الحمد لله الذي لا يُؤدى شُكر نعمة من نِعَمِهِ إلا بنعمة منه توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثةً، تجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كُنه عظمته. الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه، أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعِز جلاله، وأستعينه استعانةَ من لا حول ولا قوة له إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره لما أَزلفت وَأَخرت استغفار من يُقر بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله).

الشَّرْح

المؤلف رحمه الله في خطبة الرسالة حمد الله وأثنى عليه وشهد لله تعالى بالوحدانية، وشهد لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فقال: **(الحمد لله)** (ال) للاستغراق، والحمد هو: الثناء على المحمود بصفاته الجميلة الاختيارية مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والحمد أبلغ من المدح؛ لأن المدح يكون على الصفات الاختيارية والصفات الاضطرارية ولا يلزم أن يكون عن حب، فقد يُمدح الواحد بصفاته التي ليست اختيارية، كمدح القوي مفتول الساعدين ومدح الطويل، بخلاف الحمد الذي يقع ثناءً على الصفات الاختيارية مع حب وإجلال وتعظيم، ومن هنا كان الحمد أبلغ من المدح، ولهذا فإن

الله ﷻ حمد نفسه، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعَام: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١﴾ [سَبَإ: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فَاطِر: ١]، فهو سبحانه حمد نفسه، لأنه أهل للحمد، وهو المستحق لجميع أنواع المحامد، فكلها ملك لله، وكلها مستحقة له ﷻ.

○ قوله: **(الله)** هو: ذو الألوهية والعبودية على الخلق أجمعين، وأصل الله: الإله. سهلت الهمزة والتقت اللامان فشددتا، والمعنى: المألوه؛ من صيغة فعال بمعنى: مفعول، فهو سبحانه المألوه الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً.

والله هو أعرف المعارف، ولا يسمى به غيره ﷻ، وكلُّ أسماء الرب ﷻ تأتي بعده فتكون صفات له، كقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحَشر: ٢٢-٢٤]، فلفظ الجلالة يأتي أولاً، ثم تأتي الأسماء بعده كالصفات.

وأسماء الله مشتقة ـ ليست جامدة ـ مشتملة على معاني وصفات، فكل اسم فهو مشتق، فـ(الله) مشتمل على صفة الألوهية، ولهذا قال ابن عباس ﭬ: «**اللهُ ذُو الإلهيةِ والعُبودية عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير البسملة، انظر: تفسير الطبري: (١/ ١٢٣).

و(الرحمن) مشتمل على صفة الرحمة، و(العليم) مشتق من صفة العلم، و(الحكيم) مشتمل على صفة الحكمة، و(الخبير) مشتمل على صفة الخبرة، و(القدير) مشتمل على صفة القدرة، وهكذا.

○ قوله: **(الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه)** يعني: لا يستطيع أحد من الخلق أن يؤدي شكر نعمة من نعم الله إلا بنعمة منه سبحانه أخرى؛ فالذي يشكر الله هو لم يستطع أن يشكر الله إلا بتوفيق من الله، ولما شكر نعمة الله شكرها بنعمة أخرى وهي توفيقه سبحانه للشكر، فلولا أن الله وفقه وهداه لما استطاع أن يشكر الله، فهو لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه.

■ **هل يمكن أن يقال: أن هذه هي ما يؤدى به الشكر مثل اللسان وغيرها من الجوارح؟**

النعمة التي يؤدي بها الإنسان والشكرَ هي: توفيق العبد لأداء هذا الشكر، والشكر يكون بالجوارح، أي: أن الله تعالى وفقك لشكر هذه النعمة،بالأعمال فأنت لم تؤد شكر هذه النعمة إلا بنعمة أخرى وهي توفيق الله لك وهدايته لك، حيث شكرت هذه النعمة بأن قمت بواجب النعمة بالعمل بالجوارح والاعتراف بالقلب.

○ قوله: **(توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة تجب»[(١)] عليه شكره بها)** وهذا خاص بالله ﷻ بخلاف غيره، فإن الإنسان يؤدي شكر نعمة من أحسن إليه من الخلق، فإذا أحسن إلى الإنسان غيرُه فإنه ينبغي له أن يشكره، ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ**»[(٢)]، فإذا أحسن إليك إنسان فتشكره،

(١) في طبعة الشيخ/ أحمد شاكر: **(يجب)**.

(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، رقم (١٩٥٤).

ومِن شكْرِه أن تدعو له، فكونك تدعو له حتى ترى أن قد كافأته تكون بذلك أديت شكر هذه النعمة، أما الرب ﷻ فإنك لا تؤدي شكر النعمة إلا بنعمة أخرى منه سبحانه، حيث وفقك الله لذلك، فإذا شكرت نعمة الله فإنه يجب عليك أيضا أن تشكر شكر النعمة، فهذا الشكر يوجب عليك شكراً آخر.

○ قوله: **(ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته)** أي: لا يبلغ الواصفون من الخلق حقيقة عظمته إلا هو ﷻ، وهو سبحانه كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه خلقه؛ كما قال النبي ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**»[(١)]، فلا يستطيع أحد أن يعلم كنه ذاته ولا كنه صفاته ولا كنه عظمته، ولهذا يقول الرب ﷻ في الحديث القدسي «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[(٢)].

فالعظمة صفة من صفات الله ولا يستطيع الإنسان أن يبلغ حقيقة صفة من صفات الله ولا حقيقة ذاته، فحقيقة الذات وحقيقة الصفات لا يعلمها إلا هو سبحانه، فهي مما استأثر الله بعلمه.

○ قوله: **(الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه)**، يعني: هو سبحانه كما وصف نفسه،وأثنى على نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه ﷻ، والعباد يصفونه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، رقم (٣٤٩٣)، وابن ماجه: أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها،بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ، رقم (١١٧٩) قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم (٤٠٩٠)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، رقم (٤١٧٤).

○ قوله: **(أحمده حمداً)** كرر الحمد، ومعنى الحمد ـ كما تقدم ـ: الثناء بالصفات الاختيارية مع الحب والإجلال والتعظيم، و**(حمداً)** مصدر للتأكيد، موصوف بأنه: **(كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله)** والمعنى: أحمده حمداً يناسب ويوافق كرم وجهه وعز جلاله.

○ قوله: **(وأستعينه استعانة من لا حول ولا قوة له إلا به)**، يعني: أطلب العون من الله؛ فالهمزة والسين والتاء للطلب، إعانة شخص تعلق بالله ﷻ، ولا قوة له ولا قدرة له إلا بالله ﷻ.

وهذا حال المؤمن الذي يعلق رجاءه واستعانته بالله وخوفه من الله؛ وذلك لعلمه أنه لا حول ولا قوة له إلا بالله، فلا يستطيع التحول من حال إلى حال، ولا قوة له على شيء إلا بالله ﷻ، فلا يتحول الإنسان من المرض إلى الصحة، ولا من الفقر إلى الغنى، ولا من الذل إلى العز إلا بالله ﷻ، ولا قوة للإنسان على أي عمل إلا بالله.

ولهذا شُرع لمن يجيب المؤذن حينما ينادي للصلاة بـ: «حي على الصلاة حي على الفلاح»، أن يقول عند ذلك: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ وذلك أن المؤذن يدعو إلى إقامة الصلاة يدعوك بمعنى: أقبل إلى الصلاة، أقبل على الفلاح ـ فمن أدى الصلاة فقد أفلح، وثوابه الفلاح وهو: الفوز برضا الله وكرامته وجنته ـ فتجيبه كما علمنا النبي ﷺ: لا حول ولا قوة إلا بالله[1]، يعني: لا أستطيع أن أتحول من حال إلى حال، ولا قوة لي على إجابة المؤذن إلا بإعانتك يا الله.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ المُنَادِي، رقم (٦١٢) ومسلم: كتاب الصلاة، رقم (٣٨٣).

❍ قوله: **(وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه)**.

استهدى المؤلف رحمه الله بالله، فقال: **(وأستهديه بهداه)**، أي: أطلب منه الهداية؛ والهمزة والسين والتاء للطلب، أي: أطلب من الله أن يهديني بهداه الذي ليس بعده ضلال، ولهذا قال: **(وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه)**، أي: ممن أنعم الله عليه بالهداية فإنه لا يضل.

❍ قوله: **(وأستغفرك لما أزلفت وأخرت)** يعني: أطلب منه مغفرة الذنوب التي أزلفت وأخرت، أي الذنوب التي سبقت مني، والتي جاءت بعدُ.

❍ قوله: **(استغفار من يقر بعبوديته، و يعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو)**، هذا لجوء إلى الله استغفار العبد الذليل المقر بربوبية الله وبعبوديته له، والعالم ـ من قلبه ـ أنه لا يغفر ذنبه إلا الله ولا ينجيه من شر هذا الذنب في الدنيا والآخرة إلا هو سبحانه.

فهذه أمور أربعة أخبر بها، أنه: حمد الله، ثم استعان بالله، ثم استهدى الله، ثم استغفره.

ثم بعد ذلك شهد لله تعالى بالوحدانية، وشهد لنبيه محمد ﷺ بالرسالة فقال: **(وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له)**، يعني: أقر وأعترف أنه لا معبود بحق إلا الله، وكلمة التوحيد: لا إله إلا الله؛ وهي: أصل الدين وأساس الملة، والتي بُعث بها الرسل وأُنزلت لأجلها الكتب، والتي خُلق من أجلها الثقلين الجن والإنس، وخُلقت الجنة والنار، وانقسم الناس إلى شقي وسعيد.

فلا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله، فـ(لا) نافية للجنس من أخوات إن، تنصب الاسم وترفع الخبر، و(إله) اسمها

والخبر محذوف، والتقدير: أشهد أن لا إله حق إلا الله.

وكلمة التوحيد لا بد فيها من نفي وإثبات، ولا يصح التوحيد إلا بالأمرين ـ النفي والإثبات ـ؛

فالنفي في قول: (لا إله) هو: الكفر بالطاغوت، ومعناه: البراءة من كل معبود سوى الله، وإنكار كل عبادة لغير الله، وبغض أهلها ومعاداتهم.

والإثبات في قول: (إلا الله) هو: الإيمان بالله، وذلك بعد الكفر بالطاغوت، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، فالتخلية أولا، ثم تكون التحلية؛

والتخلية هي: البراءة من كل معبود سوى الله.

ثم بعد ذلك التحلية وهي: الإيمان بالله.

فالإيمان بالله يكون بعد البراءة من كل معبود سوى الله، ولا إيمان إلا بالأمرين نفي وإثبات، ولهذا إذا قال شخص: [أنا أعبد الله] أو قال: [الله معبود] فهذا لا يكفي في التوحيد، فقد يعبد غيره معه فلا يكون موحداً، فإن المشركين يعبدون الله، ويعبدون غيره، فلابد من عبادة الله، ونفي عبادة ما سواه؛ فتتبرأ من كل معبود سوى الله، لأن كل معبود سوى الله فهو معبود بالباطل، والمعبودات سوى الله كثيرة، فالأصنام عُبدت، والأشجار عُبدت، والشمس عُبدت، والقمر عُبد، والنجوم عُبدت، والأشخاص عُبدوا، لكنهم معبودون بالباطل، والعبادة بالحق هي: عبادة الله، كما قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ

هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ [الحجّ: ٦٢].

ولا يكفي مجرد النطق بهذه الكلمة فقط، بل لا بد أن ينطق الإنسان بها بلسانه ويعتقد معناها بقلبه، فيعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله، فيقول: (لا إله إلا الله) عن صدق يمنع من النفاق؛ لأن المنافقين يقولونها لكن قلوبهم مكذبة وهم في الدرك الأسفل من النار، فلم تنفعهم كلمة التوحيد؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٨]، فيقول: آمنا بالله وباليوم الآخر بألسنتهم، وما هم بمؤمنين بقلوبهم، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنَافِقون: ١].

ولابد أن يقول: (لا إله إلا الله) عن يقين لا يكون معه شك ولا ريب.

ولابد أن يكون عن علم ينافي الجهل، فيعرف أنها مشتملة على نفي وإثبات.

ولابد أن يقولها عن إخلاص ينافي الشرك؛ لأن من قالها ثم فعل الشرك انتقضت هذه الكلمة.

ولابد أن يقولها عن محبة لهذه الكلمة ولأهلها والسرور بذلك.

ولابد أن يقولها عن انقياد لحقوق هذه الكلمة، وهي الأعمال الواجبة يفعلها ابتغاء مرضات الله، ويترك النواهي.

ولابد أن يقولها عن قبول منافٍ للترك والرد، **فشروط لا إله إلا الله ـ لابد منها ـ:**

أولاً: العلم المنافي للجهل.

ثانياً: اليقين المنافي للشك والريب.

ثالثاً: الإخلاص المنافي للشرك.

رابعاً: الصدق المانع من النفاق.

خامساً: المحبة لهذه الكلمة ولأهلها والسرور بذلك.

سادساً: الانقياد بحقوقها وهي الأعمال الواجبة ابتغاء مرضاة الله وإخلاصا له.

سابعاً: القبول المنافي للرد.

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً: وهو الكفر بما يعبد من دون الله[(١)].

فهذه الكلمة من حققها، وحقق شروطها، وعمل بمقتضاها، وابتعد عما يناقضها، فإنها تُنجيه من عذاب الله، ويكون مؤمناً وموحداً، ولهذا قال المؤلف **(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده)**، تأكيد، **(لا شريك له)**: أي ليس له شريك ﷻ في ربوبيته، ولا في عبادته وألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

○ قوله: **(وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ)**، هذه الشهادة الثانية: الشهادة لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة، الشهادتان لا تقوم إحداهما بدون الأخرى، بل لابد من الشهادتين ومن اقتصر على إحداهما فإنها لا تنفعه، فمن شهد أن لا إله إلا الله ولم يشهد أن محمداً رسول الله، لا تقبل منه، ومن شهد أن محمداً رسول الله ولم يشهد أن لا إله إلا الله لم تقبل منه، وإذا نُطِقَ إحداهما دخل فيها الأخرى، إذا قيل: فلان يشهد أن لا إله إلا الله، يعني: ويشهد أن محمداً رسول الله، وإذا قيل: فلان يشهد أن محمداً رسول الله، يعني: ويشهد أن لا إله إلا الله، فهما شهادتان وكل واحدة منهما

(١) انظر: فتح المجيد (١/ ٨٣)، وحاشية الأصول الثلاثة (١/ ٨٤).

مرتبطة بالأخرى، ولا تصح بدونها، وإذا أطلقت إحداهما دخلت فيها الأخرى.

○ قوله: **(وأشهد أن محمداً)** هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي العربي المكي ثم المدني.

○ قوله: **(عبد الله ورسوله)** أي: أشهد أنه عبد، فليس ربا ولا إلها يعبد، وليس ملكاً، ولكنه عبد لله ورسوله عليه الصلاة والسلام، أرسله الله إلى الثقلين الجن والإنس؛ لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذه أشرف خصاله: العبودية والرسالة والله تعالى وصف نبيه بالعبودية والرسالة في أشرف المقامات وهو مقام التحدي، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣]، وفي مقام الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]، وفي مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجنّ: ١٩]، وفي مقام الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النّجم: ١٠] فهذه أشرف مقاماته عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال عليه السلام في الحديث الصحيح «**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»(٢)، «**لَا تُطْرُونِي**» نهيٌ، والإطراء

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى: كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ذِكْرُ اخْتِلَافِ الْأَخْبَارِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: سَيِّدَنَا وَسَيِّدِي، رقم (١٠٠٠٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٢١/٩) " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ."

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مَريَم: ١٦]، رقم (٣٤٤٥).

هو: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وفي هذا: رد على من غلا في الرسول ﷺ وعبده من دون الله، كمن يزعم أنه ليس بشراً وأنه جزء من الله وأنه نور من الله ـ والعياذ بالله ـ فهذا كفر وضلال، فمحمدٌ بشر مخلوق من لحم ودم، مخلوق من أب وأم، من ماء أبيه وأمه كغيره من البشر عليه الصلاة والسلام، أبوه: عبدالله بن عبدالمطلب، وأمه: آمنة بنت وهب، ليس نوراً وليس جزءاً من الله، بل هو عبدٌ لا يُعبد، ونبي كريم يطاع ويتبع، فالعبادة حق لله تعالى، فالله ﷻ له حق العبودية فلا يُعبد إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يُرغب إلا إلى الله، ولا يُرهب إلا من الله.

والرسول له حقٌ، هو المحبة والتعظيم والتوقير والإجلال والاتباع، والتصديق لأخباره، والتنفيذ لأوامره، والتعبد لله بما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله.

وهناك حقوق مشتركة بين الله ورسوله، مثل: المحبة لله وللرسول ﷺ، والطاعة لله وللرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، والإيتاء لله وللرسول ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التّوبَة: ٥٩]، والحسب خاص بالله ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣]، ولا تقل: حسبي الله وحسبي الرسول؛ فالحسب والكفاية والتوكل والدعاء والذبح والنذر والصلاة والزكاة والعبادة، هذه حق الله ﷻ، والرسول حقه: المحبة، والطاعة والاتباع، والتصديق لأخباره، والتنفيذ لأوامره، والتعبد لله بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

وفي قوله: **(وأن محمداً عبده ورسوله)**: الرد على من زعم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، كما يزعم بعض الطوائف، مثل ما يسمى:

البريلوية، وهي طائفة في الهند، يزعمون أن الرسول ﷺ يعلم الغيب وهذا كفر وضلال؛ لأن علم الغيب من اختصاص الله، لا يعلم الغيب أحدٌ إلا من أطلعه الله على شيء منه من الأنبياء والرسل، كما قال الله ﷻ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فالواجب على كل مسلم أن يشهد لله تعالى بالوحدانية والألوهية، ويشهد لنبيه محمد ﷺ بالعبودية والرسالة، وأنه عبد الله ورسوله ﷺ.

وصلاة الله على عبده، أصح ما قيل فيها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال: «**صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ**»[(١)]، فأنت تسأل الله أن يثني على نبيه محمد ﷺ في الملأ الأعلى.

وقال بعضهم: معنى صلاة الله على عبده، أي: الرحمة والصلاة تشمل الرحمة وتشمل الثناء، وإذا جُمع بينهما صارت الصلاة هي الثناء، كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، يعني: ثناء ورحمة، فإذا قلت: صلى الله عليه، فالمعنى: أنك تسأل الله أن يثني على الرسول ﷺ في الملأ الأعلى.

والمراد بآله ﷺ أتباعه على دينه.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب: ٥٤]، رقم (٤٧٩٦).

وقيل: المراد بهم أقاربه المؤمنون.

والصواب: أنه يشمل أقاربه المؤمنون كعلي وفاطمة والحسن والحسين والعباس وكذلك عمه حمزة وغيرهم ﭫ، ويشمل أيضا أزواجه، ويشمل أتباعه على دينه، ويشمل الصحابة رضوان الله عليهم فهم يدخلون في الآل دخولاً أولياً، فإذا عطف الصحابة عليهم يكون من عطف الخاص على العام.

والتسليم على النبي ﷺ معناه: أنك تسأل الله أن يسلمه من شرور الدنيا والآخرة.

والأكمل أن تجمع بين الصلاة والسلام، فتقول: عليه الصلاة والسلام، وإن زدت التبريك، فهذا أيضا فيه زيادة خير، ولهذا شُرع للمسلم في التشهد أن يجمع بين السلام والصلاة والتبريك في التشهد، حيث يقول في أول التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وأيضاً في الصلاة الإبراهيمية: وهي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، فجمع في التشهد بين السلام على النبي ﷺ والصلاة عليه والتبريك وهو دعاء بالبركة.





وصية الشافعي رحمه الله عند وفاته

قال المصنف رحمه الله:

(قال أخبرنا الزاهد أبو طاهر: أحمد بن عاصم الموصلي قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن القاسم المقرئ بالموصل قال: كتبت من كتاب ابن هاشم البلدي - رحمه الله - بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما وصى به محمد بن إدريس الشافعي ح وأخبرنا أبو منصور محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن سهل بن خليفة بن الصباح البلدي، قال: حدثني جدي محمد بن الحسن بن خليفة، قال: أنبأنا أبو علي الحسين بن هشام بن عمر البلدي، قال: هذه وصية محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه - أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله)(١).

الشَّرْحُ

هذه وصية الإمام الشافعي رحمه الله نقلها الجامع بالسند، وهذه الوصية للشافعي ثابتة من غير هذا الطريق، فتكون العمدة في ثبوت هذه الوصية ليست على هذا السند؛ لأن هذا السند فيه ضعف، إنما العمدة على الأسانيد الأخرى التي تثبتها.

○ قوله: (ح) علامة عند المتحدثين تعني: التحويل من سند إلى سند.

(١) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (١/ ١٧٦)، والسيوطي في الأمر بالإتباع (١/ ٢٠٨).

❍ قوله: **(هذه وصية محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله)**، أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله يعني: يقر ويعترف أنه لا معبود بحق إلا الله **(وحده)** للتأكيد **(لا شريك له)** ويشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، كما سبق في تفصيل معنى الشهادة لله تعالى بالوحدانية والشهادة للنبي محمد بالرسالة.

■ مسألة: **الترضي على الإمام الشافعي:**

لا بأس أن يُترضى عن غير الصحابة في بعض الأحيان، أو يُترحم على الصحابة في بعض الأحيان فهذا لا بأس به، لكن ينبغي أن يكون الأكثر الترضي عن الصحابة والترحم على من بعدهم، فالصحابة نقول رضي الله عنهم ومن بعدهم رحمهم الله، وإذا ترضى على من بعدهم في بعض الأحيان أو بعض الأشخاص فلا حرج، كما يجوز أيضا الصلاة على غير الأنبياء، فلو صليت على أبي بكر في بعض الأحيان فلا حرج، والنبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه ابن أبي أوفى بصدقته قال صلى الله عليه وسلم: **«اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»**[1].

لكن الصلاة تكون على الأنبياء والترضي على الصحابة والترحم على من بعدهم، فالأنبياء في حق الواحد منهم: صلى الله عليه وسلم أو: عليه السلام، والنبي يقال في حقه: صلى الله عليه وسلم والصحابي يقال في حقه: رضي الله عنه ومن بعده يقال في حقه: رحمه الله، وإذا صلى على غير الأنبياء في بعض الأحيان، أو ترضى على غير الصحابة في بعض الأحيان فلا حرج.

❍ قوله: **(وأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحدٍ من رسله)**، هذه من أصول الإيمان، فأوصى بأنه يؤمن بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بالحق، أي: هو يؤمن بأسماء الله وصفاته التي جاءت

(١) سبق تخريجه.

في الكتاب والسنة، لأن أسمائه وصفاته داخلة في مسمى اسمه سبحانه ليست منفصلة عنه، فالله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته هو الله، وهو الخالق ﷻ، فالرب ﷻ لا يجرد عن الصفات، بل كل موجود في هذا الوجود له صفات وله أسماء، فلا يمكن أن يُجرد عن أسمائه وصفاته، لأن الذي يُجرد عن الأسماء والصفات لا وجود له إلا في الذهن.

- ومن هنا يتبين أن المعطلة الذين عطلوا أسماء الله وصفاته لم يثبتوا وجوداً لله، من الجهمية، والمعتزلة، وغيرهم من نفاة الصفات، حتى إن بعضهم ينفي النقيضين - والعياذ بالله -، فيقول: الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا مبين منه ولا محيد له ولا متصل به ولا منفصل عنه، وهذا هو العدم، بل أشد من العدم فهو ممتنع؛ إذ لا وجود لشيء إلا بالأسماء والصفات، فمثلاً: الإنسان، لو قال أحدهم: أنا أثبت إنساناً من بني آدم، لكن هذا الإنسان ليس له طول ولا عرض، ولا عمق، وليس مُرَكَّب من لحم ولا دم، ولا يأكل ولا يشرب، وليس له شخص، ولا يرى ولا يسمع، وليس فوق الأرض ولا تحت الأرض، ولا داخل العالم ولا خارجه، فماذا يكون؟!

فهكذا وصف الملاحدة ربهم - والعياذ بالله -، فيصفون الله بصفات العدم، فينفون أسماء الله وصفاته كلها فيقولون: ليس له علم ولا سمع ولا بصر ولا قدرة، وليس فوق ولا تحت ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم.

فلابد من الإيمان بالأسماء والصفات، ومن لم يثبت أسماء الله وصفاته فإنه لم يثبت وجوداً لله إلا في الذهن، والذهن يفرض المحال ويتخيله، فإنك تتخيل في ذهنك شيئاً، قد لا يكون له وجود

في الخارج، فتتخيل أعماق البحر بين السماء والأرض، وفي وسط البحر قصور، وفي وسط القصور كذا وكذا، مما لا وجود له في الخارج، وإنما خيال في الذهن.

فهؤلاء الملاحدة يَسْبحون في الخيال، ويزعمون أن لهم رباً لا أسماء له ولا صفات، وهذا باطل.

فيجب الإيمان بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بالحق، وموصوفاً بالصفات التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، والأسماء التي سمى الله بها نفسه، وسماه بها رسوله ﷺ.

■ **مسألة: ما حكم وصف الله ﷻ بالاختراع؟ وأنه اخترع الإنسان؟**

• **الجواب:** لا يجوز وصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله وإنما نقول خلق الإنسان، عائدٌ على الخالق أي: أنه يبدأ الخلق ثم يعيده.

○ قوله: **(وملائكته)** هذا الأصل الثاني من أصول الإيمان، وهو: الإيمان بالملائكة وأنهم من عالم الغيب، وأنهم أشخاص وذوات محسوسة تصعد وتنزل وترى وتذهب وتجيء وتخاطب الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وأن الله خلقهم من نور؛ كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة ﵂ قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[١]، يعني: من طين.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم (٢٩٩٦).

وأن لهم مكانة عند الله، شرفهم الله بها.

وأن لهم أعمالا ووظائف، **فمنهم** الموكل بالقطر والنبات، **ومنهم** الموكل بالوحي وهو جبريل، **ومنهم** الموكل بحفظ بني آدم، **ومنهم** الموكل بكتابة الحسنات والسيئات، **ومنهم** الموكل بأمر نطفة يدبر أمرها حتى يتم خلقها، **ومنهم** الموكل بالجنة وإعداد بالكرامة لأهلها، **ومنهم** الموكل بالنار وإعداد العذاب لأهلها، **ومنهم** الموكل بالجبال.

وكل حركة في السماوات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة بإذن الله الكوني القدري، **فمنهم** المرسلات عُرفاً، والعاصفات عصفاً والناشرات نشراً، والفارقات فرقاً، والملقيات ذكراً، **ومنهم** النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، والسابقات سبقا.

فلابد من الإيمان بذلك كله.

ـ أما الفلاسفة الملاحدة الذين لا يثبتون الملائكة ولا يؤمنون أنهم أشخاص وذوات محسوسة بل يقولون: إنهم أشكال وأشباح نورانية ليست ذوات ولا أشخاص.

فهؤلاء كفرة أنكروا وجود الملائكة، وأنكروا قبل ذلك وجود الله ﷻ، فلا عبرة بهم، ومن أنكر الملائكة أو أنكر ملكاً من الملائكة ولم يؤمن به فهو كافر.

■ مسألة: **هل يقال: إن الملائكة أجسام محسوسة؟**

• **الجواب:** لا نقول عن الملائكة أجسام، بل نقول ذوات أو أشخاص محسوسة، ولا يلزم بذلك أن يُروا، فليس كل ذات تُرى، فثمت ذوات موجودة وهي محجوبة، كالجن ذوات وهي محجوبة عنا.

○ قوله: **(وكتبه)**، هذا الأصل الثالث من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالكتب المنزلة وأن الله أنزل كتباً على أنبيائه ورسله لهداية

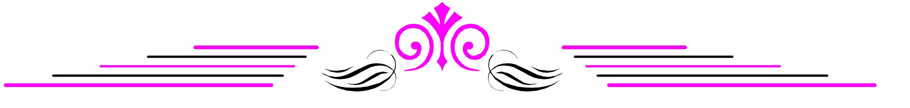
الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فنؤمن بما سمى الله منها في كتابه وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والزبور الذي أنزله الله على داوود، ثم القرآن أعظمها وخاتمها والمهيمن عليها وهو كتاب الله العظيم الذي نزله الله على محمد ﷺ، وصحف إبراهيم وصحف موسى، ونؤمن بما لم يسمَّ إجمالاً، فنؤمن بأن لله كتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله، لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله، والقرآن العظيم هو خاتمها وهو المهيمن عليها والحاكم عليها.

❍ قوله: **(ورسله)**، هذا الأصل الرابع من أصول الإيمان، نؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلاً إلى عباده في بداية الخلق، لإنقاذهم من الظلمات إلى النور و إرشادهم إلى ما خُلقوا له، ليبينوا للناس ما يحبه الله ويرضاه ويكرهه ويأباه، فنؤمن بالرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى الخلق إجمالاً وتفصيلاً، تفصيلاً بما سمى الله منهم، نؤمن بهم بأعيانهم ـ كما ذكر الله تعالى ـ في سورة الأنعام لما ذكر إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦] وكذلك في سورة النساء: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣] ثم قال سبحانه: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، فكل من سماه الله أو سمي في السنة المطهرة نؤمن به بعينه، وما لم يُسمَّ نؤمن بهم إجمالاً، فإننا نعلم أن لله أرسل رسلاً إلى الخلق لهدايتهم، ولا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله سبحانه وتعالى.

○ قوله: **(لا نفرق بين أحد من رسله)** أي: نؤمن بهم كلهم، فلا نفرق بين أحد منهم، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود الذين يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء: ١٥٠]، بل لابد من الإيمان بالجميع، فإن من آمن بالبعض دون البعض فهو كافر بالجميع، لأن الرسل متضامنون، فالمتقدم بَشَّرَ بالمتأخر، والمتأخر صدق المتقدم، فمن كفر بواحد كفر بالجميع، ولهذا لما كفرت الأمم بنبيها، جعل الله سبحانه ذلك كفراً بجميع المرسلين، كما قال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وهم كذبوا بواحد، وهو نوح عليه السلام، لكن جعل الله تكذيبهم لنوح تكذيبا لجميع المرسلين لأن الرسل دعوتهم واحدة فهم متضامنون، فمن كفر بواحد كفر بالجميع، وقال عن عاد: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وهم كذبوا بنبي واحد، وهو هود لكن تكذيبهم لهود تكذيب لجميع المرسلين، وقال عن قوم صالح: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١]، وهم كذبوا نبيهم صالح، وقال عن قوم لوط: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠]، وهم كذبوا نبيهم لوط، وقال عن قوم شعيب: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦]، وهم كذبوا بنبي واحد وهو شعيب، لكن التكذيب بالواحد تكذيب للجميع؛ لأن الرسل متضامنون، دعوتهم واحدة، فمن كذب بواحد أو كفر بواحد فقد كفر بالجميع.

فهذه أصول الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، بقي الإيمان باليوم الآخر وهو الخامس، والإيمان بالقدر وهو السادس، إن شاء الله ـ فيما يذكره المؤلف رحمه الله بعد، في العقيدة ـ.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وأن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن عذاب القبر والحساب والميزان والصراط حق، وأن الله يجزي العباد بأعمالهم، عليها أحيا وأموت وعليه أبعث إن شاء الله، وأشهد أن الإيمان قول وعمل ومعرفة بالقلب يزيد وينقص، وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق،وأن الله ﷻ يُرى في الآخرة، ينظر إليه المؤمنون عياناً جهاراً، ويسمعون كلامه وأنه فوق العرش، وأن القدر خيره وشره من الله ﷻ، لا يكون إلا ما أراد الله ﷻ وقضاه وقدره.

وأن خير الناس بعد رسول الله ﷺ من هذه الأمة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب، رحمة الله عليهم أجمعين وأتولاهم واستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين القاتلين والمقتولين وجميع أصحاب النبي ﷺ.

والسمع والطاعة لأولي الأمر ـ ما داموا يصلون ـ والولاة لا يُخرج عليهم بالسيف، والخلافة في قريش.

وأن قليل ما أسكر كثيره خمر، والمتعة حرام.

فأوصي بتقوى الله ﷻ ولزوم السنة والآثار عن رسول الله وأصحابه وترك البدع والأهواء واجتنابها، واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فإنها وصية الأولين والآخرين وإن من يتق

الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب فاتقوا الله ما استطعتم.

وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة والإيمان والتفقه في الدين، ومن حضرني منكم فليلقني: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتعاهدوا الأظفار والشارب قبل الوفاة إن شاء الله، فإذا حضرت فإن كانت عندي حائض فلتقم وليطيبوا وليدخنوا عند فراشي).

الشَّرْحُ

هذه وصية الإمام الشافعي رحمه الله عند وفاته ـ سبق الكلام على أولها ـ وأنه ابتدأ الوصية: بشهادة الله تعالى بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

○ قوله: **(وأن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت)**، يعني: أني أخلص أعمالي لله ﷻ، **(وأن صلاتي)** هي الصلاة المعروفة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم، **(ونسكي)** يعني: ذبحي، **(ومحياي)** يعني: ما أحيا عليه، **(ومماتي)** ما أموت عليه، **(لله رب العالمين)** يعني: خالصا لله رب العالمين، يعني: لله لا لغيره **(لا شريك له في ذلك)** يعني: لا أشرك معه غيره، **(وبذلك أمرت)**؛ لأن الله تعالى أمر عباده بالإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٢-٣]، والأمر للنبي ﷺ أمر لأمته، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فهذا الأمر لكل أحد، فالكل مأمور أن يجعل صلاته ونسكه وما يحيا عليه وما يموت عليه لله رب العالمين لا شريك له، وأما قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ فهذا خاص بالنبي ﷺ، فهو أول المسلمين من هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، ولذلك الشافعي رحمه الله لم يقل: وأنا أول المسلمين، إنما قال: **(وبذلك أمرت)** يعني: أن الله أمر عباده بذلك، والمقصود من ذلك الإخلاص، فلابد للإنسان أن يخلص أعماله لله عز وجل.

لأن العبادة لا تصح إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون العمل خالصاً لله ـ كما ذكر المؤلف رحمه الله في قوله: **(وأن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت)**.

الشرط الثاني: أن يكون العمل موافقاً لشرع الله، وصواباً على هدي رسول الله ﷺ، فتكون الصلاة والذبح وما يعمله الإنسان في حياته كله موافق لشرع الله.

فإذا كان العمل خالصاً لله وموافقاً لشرع الله فهذا هو العمل المقبول، وهذا هو الذي ينفع صاحبه.

○ قوله: **(وأن الله يبعث من في القبور)** يعني: أؤمن بأن الله يبعث من في القبور، فهذا إقرار بالبعث، والمراد: بعث الأجساد وإعادة الأرواح إليها، وهذا أصل من أصول الإيمان وهو: الإيمان باليوم الآخر، من لم يؤمن بالبعث فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧] فقد كفرهم الله سبحانه في إنكارهم البعث، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ يعني: البعث ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ [يُونس: ٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سَبَإ: ٣]، فأمر الله نبيه أن يقسم على البعث في هذه المواضع الثلاثة، وأن الله يبعث من في القبور، ومن أنكر البعث فهو كافر، فإن الأجساد تبلى وتستحيل تراباً ولا يبقى إلا عجب الذنب وهو آخر فقرة في العمود الفقري ويسمى: العصعص؛ كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ ٱبْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(١) ولكن الله ﷻ عليم بالذرات التي استحالت، والله قادر على أن يعيدها خلقاً جديداً وينشأ الإنسان تنشئة قوية تختلف عن هذه النشأة في الدنيا، فالذوات هي نفسها، ولكن الصفات تختلف، فينشئ الله الناس تنشئة أقوى من نشأتهم في الدنيا؛ كما ثبت في الحديث الصحيح: «**يُرْسِلُ اللهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَتَنْبُتُ لُحْمَانُهُمْ وَجُثْمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، كَمَا يُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنَ الثَّرَى**»، **ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ**: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فَاطِر: ٩] **قَالَ**: «**ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بِالصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جَسَدِهَا حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، ثُمَّ يَقُومُونَ فَيَحْيَوْنَ حَيَاةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**»(٢)، فإذا كمُل نباتهم أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور نفخة ثانية، هي نفخة البعث، فتتطاير الأرواح وتدخل كل روح في جسدها، وحينئذ تعود الحياة إلى الأجساد فيقوم الناس من قبورهم ينفضون التراب عن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: كِتَابُ الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، رقم (٨٥١٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥١١/ ٣٧٦٣٧)، والبيهقي في البعث والنشور(١/ ٣٣٦/ ٦٠٩).

رؤوسهم ويقفون بين يدي الله تعالى للحساب، فمن لم يؤمن ببعث الأجساد فهو كافر، ولهذا فإن الفلاسفة كفار لا يؤمنون ببعث الأجساد وإنما يؤمنون ببعث الأرواح مثل أرسطو وأتباعه، فهم يقولون الأرواح هي التي تُبعث والأجساد لا تبعث، وهذا كفر وضلال، فلابد من الإيمان ببعث الأجساد وأن الله يبعث من في القبور وحينئذ يقف الناس للحساب بين يدي الله، يحاسبون ثم تكون الشفاعة: فيشفع نبينا ﷺ لأهل الموقف ثم بعد ذلك تتطاير الصحف، فآخذ كتابه بيمينه أو بشماله ثم الحوض، ثم الميزان والصراط ثم الجنة أو النار، فلابد من الإيمان بهذا كله، ولهذا قال المؤلف: **(وأن الله يبعث من في القبور)** يعني: أؤمن بأن الله يبعث من في القبور، يعني: يبعث الأجساد.

■ **مسألة: هل تفنى الأرواح؟**

• **الجواب:** لا الأرواح باقية، فإن الموت خروج الروح من الجسد والأرواح باقية إما في نعيم وإما في عذاب، وفي حديث الشهداء: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**»[1] والجسد يفنى إلا عجب الذنب وهو العصعص وهو آخر عظم العمود الفقري ثم يعيده الله وينشأ الناس نشأة جديدة، كما في الحديث: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»[2] وينزل الله مطرا كمني الرجال فتنبت أجساد الناس، كما ثبت في الحديث الصحيح: «**فَيُرْسِلُ اللهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ،**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

فَتَنْبُتُ لُحْمَانُهُمْ وَجُثْمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، كَمَا يُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنَ الثَّرَى»(١) ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور فتعود الأرواح إلى أجسادها وتدخل كل روح في جسدها ويقوم الناس من قبورهم وتعود إليهم الحياة.

❍ قوله: **(وأن الجنة حق وأن النار حق)**، يعني: يؤمن بأن الجنة حق وأن النار حق، فلابد من الإيمان بالجنة والنار، ومن لم يؤمن بالجنة والنار فهو كافر لأنه مكذب لله ؛ لأن الله أخبر بوجود الجنة، وأن المؤمنين لهم الجنة والكرامة، والكفار لهم النار، فمن أنكر الجنة والنار فهو كافر.

❍ قوله: **(وأن عذاب القبر والحساب والميزان والصراط حق)**، يعني: وأؤمن بأن عذاب القبر حق، فالقبر فيه عذاب وفيه نعيم فالمؤمن ينعم في قبره والكافر يعذب، والعاصي يدخل في المشيئة، فمن العصاة من يُعذَّب في قبره؛ كما في قصة الرجلين في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذين مر بهم النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان، وَمَا يُعَذَّبَان فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(٢).

فعذاب القبر حق لابد من الإيمان به، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وكذلك لابد من الإيمان بسؤال منكر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ، رقم (٢١٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، رقم (٢٩٢).

ونكير في القبر، فيَسأل الإنسانَ فتانا القبر[(١)] عن ربه وعن دينه وعن نبيه ﷺ.

○ قوله: **(والحساب والميزان والصراط حق)**، يعني: وأؤمن بأن الناس محاسبون على أعمالهم، فالمؤمن يحاسب حساباً يسيراً وهو العرض كما قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، وأما من نوقش الحساب فإنه يعذب؛ كما جاء في الحديث الصحيح «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**»[(٢)]، وكذلك لابد من الإيمان بالميزان وأنه ميزان حسي توزن فيه أعمال العباد ويوزن فيه الأشخاص، وأنه ميزان عظيم أطباقه أعظم من السماوات والأرض وله لسان[(٣)] توزن فيه الأعمال والأشخاص كما ثبت في الحديث: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ: اقْرَءُوا،** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(٤)]، وهذا لخبث عمله.

وثبت في الحديث أن ابن مسعود ﵁ كَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ،

(١) جاء هذا اللفظ في حديث عطاء بن يسار، وفيه: «**فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْكَ أَتَاكَ فَتَّانَا الْقَبْرِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ**»، أخرجه البيهقي في الاعتقاد: باب الإيمان بعذاب القبر نعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار (١/ ٢٢٢)، وقال ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً، وقال الحافظ في المطالب العالية «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ مَعَ إِرْسَالِهِ». (١٨/ ٤٧١/ ٤٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، بَابٌ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ، رقم(٦٥٣٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٧٦).

(٣) كما جاء في الأثر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ**» أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٤٧/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] الآيَةَ، رقم (٤٧٢٩)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٥).

فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَان مِنْ أُحُدٍ**»[(١)].

فالرجل يوزن والعمل يوزن، وثقل الميزان وخفته على حسب العمل، فلابد أن نؤمن بالميزان وأنه ميزان حسي.

خلافا لأهل البدع كالمعتزلة وغيرهم الذين أولوا الميزان وقالوا بأنه ميزان معنوي وأن المراد به العدل، وقالوا إن الرب لا يحتاج إلى الميزان الحسي، وإنما الذي يحتاج إلى الميزان البقال والفوال أما الرب فلا يحتاج إلى الميزان، هكذا يقول المعتزلة، وقد تركوا النصوص وراءهم ظهرياً، فهم أصحاب العقول يعملون بما دل عليه العقل بزعمهم، وهذا منكر وضلال، والصواب أنه ميزان حسي له كفتان حسيتان وله لسان وجاء في بعض الآثار أن لكل أمة ميزان).

▪ **مسألة: هل الميزان واحد، أم موازين متعددة؟**

• **الجواب:** جاء في الأحاديث أن هناك موازين متعددة واستدلوا بأن الله تعالى جمع الموازين فقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبيَاء: ٤٧].

وقال آخرون: هو ميزان واحد، وإنما جمعت في الآية باعتبار الموزون[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: رقم (٣٩٩١)، والبزار في مسنده (٥/ ٢٢١/ ١٨٢٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٧٨/ ٨٤٥٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٨٩/ ١٥٥٦٢)" رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ طُرُقٍ... وَأَمْثَلُ طُرُقِهَا فِيهِ: عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ عَلَى ضَعْفِهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ"

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٨٦).

○ قوله: (والصراط حق) يعني: وأؤمن بأن الصراط حق وهو الجسر الممدود على متن جهنم يصعد الناس منه إلى الجنة وعلى الصراط كلاليب[1] تخطف الكافر والعاصي وتلقي به في النار، ومن سلم صعد إلى الجنة، فلا بد من الإيمان بأن الصراط صراط حسي لا معنوي خلافا لأهل البدع، ومن استقام على الصراط المستقيم في هذه الدنيا فإنه ينجو و يعبر على الصراط الحسي يوم القيامة ومن تنكب الصراط المستقيم في هذه الدنيا فإنه لا يعبر الصراط الحسي يوم القيامة المنصوب على متن جهنم بل يسقط في النار والعياذ بالله.

■ مسألة: **هل الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط ؟**

● الجواب: في هذا خلاف بين أهل العلم، فمن العلماء من قال: الحوض قبل الصراط. ومنهم من قال: بعده، وكذلك الخلاف بين الحوض والميزان أيهما أسبق.

والراجح أن الحوض قبل الميزان ثم الصراط؛ والمعنى يقتضيه:

١- لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فالمناسب أن يردوا على الحوض ثم توزن الأعمال.

٢- ولأنه لو كان ورود الحوض بعد الميزان لما ورد ناس وطُردوا ومنعوا؛ فإنه ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا**

---

(١) كما جاء في الحديث: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: **دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ**» أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ، رقم (٨٠٦)، ومسلم واللفظ له: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٨٣).

بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا»[١]، فلو كان بعد الميزان لكان من خف ميزانه علم أنه لا يرد فلا يرد.

○ قوله: **(وأن الله يجزي العباد بأعمالهم)**، يعني: وأؤمن بأن الله يجزي العباد بأعمالهم، الله تعالى يجزي العباد بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

قال المؤلف رحمه الله **(عليها أحيا وأموت وعليه أبعث إن شاء الله)**

يعني: على هذه العقيدة، قال أحيا يعني: أحيا عليها في الدنيا، يعني: يسأل الله أن يثبته عليها في هذه الحياة وأن يموت عليها وأن يبعث عليها.

■ **مسألة: قول المؤلف: (إن شاء الله) كيف يأتي بالاستثناء فيقول إن شاء الله، وقد جاء في الحديث: «إذا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلا يَقُولَنَّ: اللهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[٢].** فهل ما قاله المؤلف دعاء؟ أم خبر؟

● **الجواب:** أ- إن قيل: هو خبر فلا بأس بالاستثناء؛ كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ زار مريضا فقال: «**طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[٣]؛ لأن المراد الخبر.

ب- وإن أريد أنه خبر بمعنى الدعاء، فيكون المقصود إن شاء الله من باب التبرك، وليس المراد الاستثناء.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الفِتَنِ،بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، رقم (٧٠٤٩)، ومسلم: كتاب الْفَضَائِلِ، رقم (٢٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له، رقم (٦٣٣٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم (٢٦٧٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦).

▪ **مسألة: الاستثناء في الإيمان وصلتها بقول الإمام الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عليهت أحيا وأموت وعليه أبعث إن شاء الله)**؟

• **الجواب:** مسألة الاستثناء في الإيمان، اختُلف فيها:

فالمرجئة يرون عدم الاستثناء، فلا يقول المسلم أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأن المرجئة يرون أن الإيمان هو التصديق بالقلب، فلا تقول إن شاء الله؛ لأن هذا شك في الإيمان فلا تشك، ولا يجوز الشك في الإيمان.

وأما جمهور أهل السنة فيفصلون فيقولون:

أ- إن أراد الشك فهذا منهي عنه ولا يجوز، كمن أراد الشك في أصل عقيدته وأصل إيمانه، فهذا ممنوع.

ب- وإن أراد أن أعمال الإيمان كثيرة، وأن الإيمان له شعب متعددة من واجبات ومحرمات، وأن الإنسان حين يقول: إن شاء الله، يريد أن واجبات الإيمان كثيرة، وأن الإنسان لا يجزم بأنه أدى ما عليه، وأن الإنسان محل النقص والتقصير، فهذا لا بأس به.

ج- إذا أراد التبرك بذكر اسم الله، فهذا جائز.

د- إذا أراد عدم علمه بالعاقبة، وأن العاقبة لا يعلمها إلا الله، فهذا جائز.

فالاستثناء عند جمهور أهل السنة يجوز في هذه الأحوال.

○ قوله: **(وأشهد أن الإيمان قول وعمل ومعرفة بالقلب يزيد وينقص)** يعني: أقر وأعترف بأن الإيمان قول وعمل:

١ ـ قول القلب، وهو التصديق والإقرار، وهو الذي سماه المؤلف: **(معرفة بالقلب)** أي: قول القلب ومعرفته وتصديقه.

٢ ـ قول اللسان، وهو النطق.

٣ ـ عمل القلب، مثل: النية والإخلاص والصدق والمحبة.

٤ ـ عمل الجوارح.

فالإيمان: قول القلب ومعرفته، وقول اللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد وينقص، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

خلافاً لمرجئة الفقهاء الذين يرون أن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، ويعتقدون أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب، وأما العمل فلا يدخل في مسمى الإيمان، ويقولون: الأعمال مطلوبة لكنها ليست من الإيمان، فلا نسميها إيمان، بل نسميها بر وهدى، فاللسان عليه واجبان: واجب الإيمان وواجب العمل.

وإن كان مرجئة الفقهاء طائفة من أهل السنة، وهذا الخلاف له آثار تترتب عليه.

وأما المرجئة الغلاة الجهمية فإنهم يرون أن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب فقط دون إقرار باللسان ودون العمل، وهذا من أبطل الباطل، وهذا أفسد ما قيل في تعريف الإيمان.

وكذلك الكرامية الذين يرون أن الإيمان هو قول باللسان فقط.

وكذلك الماتوريدية والأشاعرة الذين يرون أن الإيمان هو تصديق بالقلب فقط.

والصواب أن الإيمان قول وعمل، قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح يزيد وينقص كما قرره الشافعي رحمه الله.

■ مسألة: **هل حَكَم الأئمة بكفر الجهم؟**

• **الجواب**: الجهم بن صفوان كفره أهل العلم، وقالوا: إنه كافر بشهادته على نفسه؛ حيث أنه عرف الإيمان بأنه معرفة الرب

بالقلب، وبأن الكفر هو جهل الرب بالقلب، وهو أجهل الناس بربه فيكون كافراً بحكمه على نفسه، قال الشاعر فيه:

عَجِبْتُ لِشَيْطَانٍ دَعَا النَّاسَ جَهْرَةً إِلَى النَّارِ وَاشْتُقَّ اسْمُهُ مِنْ جَهَنَّمَ(١)

وهو الذي دعا الناس إلى الضلال، وناظر السُّمَنِيَّةُ وهم قوم من الهند لا يؤمنون إلا بالحسيات؛

قالوا له: ربك الذي تعبد هل رأيته بعينك؟ قال: لا.

قالوا: هل سمعته بأذنك؟ قال: لا.

قالوا: هل شممته بأنفك؟ قال: لا.

قالوا: ذقته بلسانك؟ قال: لا.

قالوا: هل جسسته بيدك؟ قال: لا.

قالوا: إذن فهو معدوم.

فشك في ربه وترك الصلاة أربعين يوما، ثم نقش الشيطان في ذهنه أن الله موجود وجودًا في الذهن، فأثبت وجود الله في الذهن وسلب عنه جميع الأسماء والصفات وهلك ـ والعياذ بالله ـ.

والإمام أحمد ﷺ في رسالة الرد على الزنادقة بيَّن أن أقوال الجهمية تدور على أنهم ولا يثبتون شيئاً فوق العرش، بمعنى: أنهم لا يثبتون إلـٰهـًا فوق العرش، وقال عبدالله بن المبارك: «**إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ**»(٢)؛ لخبثها وضلالها ـ نسأل الله العافية ـ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٤)، وشرح الطحاوية (١/ ٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٠)، والخلال في السنة، رقم (١٦٨٤)، والآجري في الشريعة، رقم (٥٧٩)، وعبدالله بن أحمد في السنة، رقم (٢١٦)، وابن بطة في الإبانة، رقم (٣٣٤).

■ مسألة: **حكم لعن المعين، كجهم؟**

● **الجواب**: لعن المعين فيه كلام لأهل العلم، فمن العلماء من أجازه ومنهم من منعه، والصواب عدم لعن المعين، وإنما يلعن بالعموم سواء كان حياً أو ميتاً فلا يلعن إلا إذا ترتب على ذلك مصلحة للأحياء، كأن يكون مبتدعا فيبين للناس بدعته و يحذر الأحياء من بدعته، واللعن معناه السب والذم، وهذا ذم له فإذا كان مبتدعٌ يُنفرُ الناس من بدعته، لئلا يتضرر الأحياء، ولو كان ميتا، والحي من باب أولى، أما إذا لم يكن مبتدعاً ولم يحصل على الأحياء ضرر فلا يسب؛ لأنه أفضى إلى ما قدم، وقد قال النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»[1]، ولعن المعين منهم من أجازه، ومن ذلك أن الإمام أبو حنيفة قال: «**لَعَنَ اللهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يعنيهم من الْكَلَام**»[2]، من شدة حنقه وغيظه عليه لعنه بعينه.

○ قوله: **(وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق)** يعني: وأؤمن بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه غير مخلوق، ومن قال هو مخلوق فقد كفره الأئمة، والمراد العموم أما الشخص المعين فلا يُكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، ووجدت الشروط وانتفت الموانع، فالإمام بين اعتقاده بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا قول أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ،بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ سَبِّ الأَمْوَاتِ، رقم (١٣٩٣).
(٢) أخرجه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله رقم (١٠٢٠)، وأَبُو الْفَضْلِ الْمُقْرِئُ في أحاديث في ذم الكلام وأهله (١/ ٨٨).

خلافاً للمعتزلة الذين يقولون القرآن مخلوق لفظه ومعناه.

وخلافاً للأشاعرة الذين يقولون أن القرآن هو المعنى النفسي، وأما اللفظ فليس داخلاً في مسمى الكلام بل الكلام هو المعنى النفسي ـ أي: المعنى القائم بنفس الرب ـ، وأما اللفظ فليس من القرآن وإنما هو من كلام البشر، فيكون مخلوقاً، وهذا من أبطل الباطل.

والصواب أن القرآن لفظ ومعنى، حروف وكلمات، فكلام الله منزل غير مخلوق تكلم الله به وسمعه منه جبريل و نزل به على قلب النبي ﷺ؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥]

○ قوله: **(وأن الله ﷻ يُرى في الآخرة)** يعني: وأؤمن بأن الله ﷻ يُرى في الآخرة وينظر إليه المؤمنون.

○ وقوله: **(عياناً جهاراً ويسمعون كلامه)** يعني: أؤمن بأن الله يُرى في الآخرة، ينظر إليه المؤمنون عياناً، يعني: معاينة جهاراً بأبصارهم ويسمعون كلامه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، أي تنظر إلى ربها وهي وجوه المؤمنين، وكما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[١]، وفي لفظ: «**كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[٢]، وفي لفظ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ**»[٣]، يعني: رؤية بالأبصار.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم (٢٥٥٤).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨٣).

خلافاً لأهل البدع الذين أنكروا رؤية الله في الآخرة، من المعتزلة الذين قالوا الرؤية معناها المعرفة فأنكروا أن يُرى الله بالأبصار وقالوا المراد بالرؤية المعرفة، يعني: يعرفون ربهم كما يعرفون القمر لا يشكون في معرفة ربهم كما لا يشكون في القمر أنه قمر، وهذا باطل.

والصواب ما عليه أهل السنة والجماعة أن الله يُرى في الآخرة وأنهم يرونه من فوق.

خلافاً للأشاعرة الذين أثبتوا الرؤيا ولكن نفوا الجهة، قالوا يُرى لا في جهة وهذا باطل؛ فالرؤية لا بد أن تكون بجهة من الرائي ولا بد أن يكون الرائي مبايناً للمرئي ومواجهاً له.

■ **مسألة: هل يُرى الله في المحشر؟**

• **الجواب:** الله ﷻ يُرى في موقف القيامة، يراه المؤمنون، ويرونه بعد دخول الجنة هذا بالاتفاق، وبإجماع المسلمين أن المؤمنين يرون ربهم في موقف القيامة ويرونه بالجنة، أما غير المؤمنين فاختلف العلماء في رؤية بقية أهل الموقف هل يراه الكفرة أو لا يرونه؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الله يراه أهل الموقف كلهم مؤمنهم وكافرهم في موقف القيامة ثم يحتجب بعد ذلك عن الكفرة ولا يراه إلا المؤمنون.

القول الثاني : أن الله يراه المؤمنون فقط.

القول الثالث: أنه يراه المؤمنون والمنافقون فقط لما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يتجلى للمؤمنين ومعهم المنافقون فيرونه فإذا أرادوا أن يسجدوا سجد المؤمنون، أما المنافق فلا يستطيعون السجود ويكون ظهر الواحد منهم طبقاً واحداً، كما جاء

في الحديث قال ﷺ: «**فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا**»(١)؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القَلَم: ٤٢]، وهذه الأحاديث الصحيحة ظاهرة في أن المنافقين يكونون مع المؤمنين، ثم بعد ذلك إذا مشى المؤمنون ومشى معهم المنافقون طُفئ نور المنافقين وضُرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، والأحاديث صريحة في هذا، وهذا القول هو الأرجح؛ لأن الأحاديث ظاهرة بل صريحة في أن المنافقين يرون الله مع المؤمنين ثم يحتجب عنهم، لكن لا يستفيدون من هذه الرؤيا؛ لأنهم كانوا معهم في الدنيا تجري عليهم أحكام الإسلام يصلون مع المسلمين و يحجون معهم ويجاهدون معهم، كما تجرى عليهم الأحكام إلا من أظهر النفاق فإنه يقتل كما كان عبدالله بن أُبيّ، رأس المنافقين على عهد النبي ﷺ يجري عليه النبي ﷺ أحكام المؤمنين فكذلك في موقف القيامة يكون معهم ثم بعد ذلك يُمكر بهم ويحال بينهم وبين المؤمنين ويُضرب بينهم بسور له باب، نسأل الله السلامة والعافية.

■ **سؤال: هل يُرى الله ﷻ في الدنيا أي في المنام؟**

● **الجواب:** نعم، فالرؤيا في المنام واقعة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**جَمِيعُ الطَّوَائِفُ أَثْبَتُوا رُؤْيَةَ الله في المَنَامِ؛**

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، رقم (٧٤٣٩).

إلا الجَهْمِيَّةَ من شِدَّةِ إِنْكَارِها لِرُؤْيَةِ اللهِ حَتَّى أَنْكَرُوا رُؤْيَةَ الله في المَنَام، ولا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ، وَمَنْ رَأَى الله ﷻ فِي الْمَنَام فَإِنَّهُ يَرَاهُ فِي صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ بِحَسَبِ حَالِ الرَّائِي إنْ كَانَ صَالِحًا رَآهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ؛ وَلِهَذَا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»[١].

فالإنسان يرى ربه على حسب معتقده، فإن كان اعتقاده سليماً رأى ربه في صورة حسنة، وإن كان اعتقاده منحرفاً رأى ربه في صورة تناسب اعتقاده ولما كان النبي ﷺ أصح الناس اعتقادا قال: **«رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؟ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا» قَالَ: «فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ...»** الحديث[٢]، وهو يسمى حديث اختصام الملأ الأعلى، وقد شرحه الحافظ بن رجب رَحِمَهُ اللهُ في رسالة.

❍ قوله: **(ويسمعون كلامه)** يعني: وأؤمن بأن المؤمنين يسمعون كلام الله ﷻ كما دلت النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الله يخاطب المؤمنين ويكلمهم، كما في الحديث يقول النبي ﷺ **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»**[٣]، يعني: بدون واسطة.

❍ قوله: **(وأنه فوق العرش)** يعني: وأؤمن بأن الله فوق العرش، فالشافعي رَحِمَهُ اللهُ يثبت الفوقية وأن الله فوق العرش وهذا هو الذي دلت عليه النصوص كما في كتاب الله في سبعة مواضع؛ قال

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).
(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ ص، رقم (٣٢٣٤).
(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٤٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠١٦).

الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠]، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

وقد أنكر الفوقية والعلو أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فأول بعض الأشاعرة الفوقية بالقدرة، و الجهمية أنكروا الفوقية وجميع المعتزلة، وقالوا إن المراد بالفوقية هنا فوقية القدر والقهر والسلطان، وأنكروا فوقية الذات، وهذا من أبطل الباطل، بل الرب سبحانه له فوقية الذات وفوقية القدر والشأن وفوقية القهر والسلطان، فهي ثلاثة أنواع للفوقية كلها اتصف بها الرب ﷻ؛ كما قال ابن القيم رحمه الله:

والفوق أَنْوَاع ثَلَاث كلهَا ... لله ثَابِتَة بِلَا نكران
هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوق الْقَهْر وال ... فوقية الْعليا على الأكوان(٢)

والجهمية أنكروا الفوقية وقالوا إن الله تعالى مختلط بالمخلوقات، فأنكروا الفوقية والعلو وقالوا بأن الرب مع المخلوقات في كل مكان نعوذ بالله، وقالوا لا يمكن أن يكون فوق لأنه لو كان فوق لكان في جهة ولكان محدوداً ولكان متحيزا ولكان جسماً، فقالوا إنه في كل مكان هذه الجهمية الأولى، وأما الطائفة الثانية من

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٧).
(٢) نونية ابن القيم (١/ ٧٥).

الجهمية المتأخرون فنفوا النقيضين، وقالوا إن الرب ليس داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا مبين له ولا متصل به ولا منفصل عنه، سلبوا النقيضين، وهذا من أبطل الباطل، فالإمام الشافعي ﷺ يعتقد ما يعتقده أهل السنة والجماعة من أن الله ﷻ فوق العرش.

❍ قوله: **(وأن القدر خيره وشره من الله)** يعني: وأؤمن بأن القدر خيره وشره من الله ﷻ، يعني: أؤمن بأن الله قدر الأشياء كلها الخير والشر، علم الله ذلك في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ وأراد كل شيء أن يحصل في هذا الوجود وخلق كل شيء في هذا الوجود، ولهذا قال المؤلف: **(لا يكون إلا كما أراد الله ﷻ وقضاه وقدره)** يعني: لا يكون في هذا الوجود إلا ما أراده الله، ومراتب القدر أربعة لا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها:

المرتبة الأولى: العلم الأزلي وهو الإيمان بأن الله علم كل ما يكون في هذا الوجود علماً أزليا.

المرتبة الثانية: الكتابة، وهي: الإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[١]، رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

المرتبة الثالثة: المشيئة والإرادة، فكل شيء في هذا الوجود فقد سبقت فيه مشيئة الله وإرادته، لا يقع شيء في الوجود إلا ما أراده.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْقَدَرِ، رقم (٢٦٥٣).

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد؛ كما قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفُرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦].

▪ **مسألة: بعض الناس يقول: لولا السيارة ما وصلت في الوقت، ولولا الجبس ما برأ ساقي، ويقول هذا مقصدي فيه السبب؟**

• **الجواب**: أن هذا لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ نهى عن التحسر عن القدر والنسبة إلى السبب، ففي الحديث أن النبي ﷺ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١)، إذا كانت للتحسر في القدر فهي ممنوعة، أما إذا كانت في تمني الخير فلا بأس مثل قول النبي ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ**»(٢) ومثل قولك: لو عملت درسا علمياً في المسجد لحضرتُ، فهذا في تمني الخير لا بأس به، وكذلك إسناد الأشياء إلى السبب ما حكمه؟! لولا السيارة لولا السائق الجيد ما وصلت، لولا الجبس ما بدأ ساقي، مثل ما قال العلماء لو كان الملاح حاذقا أو كانت الريح طيبة، فينبغي أن تسند الأشياء إلى الله ﷻ فيقولون للإنسان: لولا الله لما حصل كذا، أو لولا الله ثم فلان لما حصل كذا،.

○ قوله: **(وأن خير الناس بعد رسول الله ﷺ من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ابن أبي طالب)** يعني: وأؤمن بأن خير الناس بعد رسول الله ﷺ من هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الأربعة رضوان الله عليهم، هنا

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ القدر، رقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّمَنِّي، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ**» رقم (٧٢٢٩)، ومسلم: كِتَابُ الْحَجِّ، رقم (١٢١١).

أتى بالواو وسيأتي فيما بعد بعطف كل واحد على الآخر بثم، وهذا أولى أن يؤتى بثم، يقال خير هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ؛ لأن ثم للترتيب والتراخي، والواو للتشريك فقط ولا تفيد الترتيب، والصواب أنهم مرتبون فأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة.

○ قوله: **(رحمة الله عليهم أجمعين)** لو قال: رضي الله عنهم أجمعين لكان أولى، فالترضي يكون للصحابة، وإذا ترحم عليهم فلا بأس فرحمة الله عليهم أجمعين ورضي الله عنهم أجمعين ـ كما تقدم ـ.

○ قوله: **(وأتولاهم وأستغفر لهم)** يعني: أتولى الصحابة، ولا أعاديهم ولا أبغضهم، بل أحبهم وأستغفر لهم، أي: أسأل الله أن يغفر لهم.

○ قوله: **(ولأهل الجمل وصفين القاتلين والمقتولين ولجميع أصحاب النبي ﷺ)**، الجمل وقعة حصلت بين الصحابة ﭫ لما اجتهدت عائشة ﭭ وجعلت تطالب بدم عثمان ﭬ لما قُتل، فخرجت على جمل مع طلحة والزبير ﭭ، ثم حصل قتال تحت الجمل تسبب فيه بعض أهل الشر فأشاعوا وأثاروا الفتنة، فحصلت مقتلة تحت جمل عائشة ﭭ وسقطت ﭭ وحصلت الفتنة.

واجتهاد عائشة ﭭ في المطالبة بدم عثمان ﭬ يوافقها عليه علي ﭬ، لكن أراد ذلك حين يستتب الأمن.

والأخبار التي تروى عن الصحابة:

منها: ما هو كذب لا أساس له من الصحة.

ومنها: ما له أصل ولكن زيد فيه ونقص منه أو غُير عن وجهه.

ومنها: ما هو صحيح.

والصحيح هم فيه ما بين مجتهد مصيب له أجران له أجر الاجتهاد وأجر الصواب، وما بين مجتهد مخطئ له أجر الاجتهاد، كما قرر ذلك أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأستغفر لهم ولأهل الجمل القاتلين والمقتولين وجميع أصحاب النبي ﷺ)** فكل الصحابة يجب توليهم والاستغفار لهم ومحبتهم والسكوت عما شجر بينهم، واعتقاد أنهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، ولا يجوز عيبهم ولا ذمهم ولا التكلم في مثالبهم فإن هذا من شعار أهل البدع، فأهل البدع هم الذين يسبون الصحابة من الرافضة وغيرهم بل يكفرونهم وهذا كفر وضلال، لأن تكفير الصحابة تكذيب لله فإن الله عَزَّ وَجَلَّ زكاهم وعدلهم ووعدهم الجنة فمن كفرهم أو فسقهم فقد كذب الله ومن كذب الله كفر نسأل الله السلامة والعافية، ثم أيضا الرافضة يعبدون آل البيت ويتوسلون إليهم وهذا شرك آخر، وكذلك أيضا من شركهم وكفرهم أنهم أنكروا أن يكون كلام الله محفوظ، وقالوا أن القرآن محرف وأنه ما بقي منه إلا الثلث وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

■ **مسألة: هل الرافضة كلهم كفار؟**

• **الجواب:** من يعتقد عقيدة الرافضة فهو كافر، فإن عقيدة الرافضة:

العقيدة الأولى: تكفير الصحابة وتفسيقهم، ومن كفر الصحابة وفسقهم فهو مكذب لله لأن الله زكاهم وعدلهم و وعدهم بالجنة قال ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، وعلى هذا من كفرهم وفسقهم فقد كذب الله، ومن كذب الله كفر بإجماع المسلمين.

العقيدة الثانية: عقيدة التحريف في القرآن وأن القرآن محرف وليس بمحفوظ وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فهم يعتقدون أن القرآن غير محفوظ ولم يبق إلا الثلث وهذا كفر وضلال.

العقيدة الثالثة: التوسل بآل البيت ودعاؤهم من دون الله وهذا شرك صريح.

فمن كان يعتقد هذه العقيدة فهو كافر، أما إذا كان لا يعتقد هذه العقائد مثل الزيدية الذين يفضلون علي على عثمان رضي الله عنهما ولكن لا يكفرون الصحابة ولا يعبدون آل البيت ولا يعتقدون أن القرآن محرف فهؤلاء مبتدعة ولا يكفرون.

■ مسألة: **هل يُطلق الكفر على عوام الرافضة؟**

• **الجواب**: من يعتقد معتقد الرافضة هو رافضي؛ لأنهم يعبدون آل البيت ويكفرون الصحابة ويزعمون أن القرآن غير محفوظ، والشيعة طوائف متعددة، أربع وعشرين فرقة كما ذكره أهل العلم:

فمنهم: المخطئة الذين يقولون: أن جبريل عليه السلام أرسله الله إلى علي رضي الله عنه فأخطأ ووصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء كفرة.

ومنهم: النصيرية الذين يقولون أن الله حلَّ في علي رضي الله عنه، فهؤلاء أعلى طوائف الشيعة.

ومنهم: الزيدية الذين يفضلون علي على عثمان رضي الله عنهما، هؤلاء مبتدعة.

○ قوله: (والسمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون) يعني: وأؤمن بالسمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون وذلك

عـمـلا بـقـول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وعملاً بالأحاديث التي فيها الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور، كما في الصحيحين: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»(١)، وفي صحيح مسلم: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(٢)، يعني: للأمير ولولي الأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»(٣) يعني: للأمير أي: ولي الأمر وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف، السمع والطاعة لولاة الأمور في طاعة الله وفي الأمور المباحة أما المعاصي فلا يطاع فيها أحد لقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٤)، وكما في الحديث السابق: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلَا طَاعَةَ**»(٥) أي: أن المعاصي ما يطاع فيها أحد، فإذا أمر الأمير بمعصية كشرب الخمر أو قتل من لا يستحق القتل فلا يطاع، وكذلك الوالد إذا أمر ابنه بمعصية فلا يطيعه، ولكن يتلطف في خطابه ويبين له أنه لا يجوز هذا الأمر وأنه لا يطيع في معصية وكذلك الزوجة إذا

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، رقم (٧١٤٤)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٤٧).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٤٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٠٩٥).

(٥) سبق تخريجه.

أمرها زوجها بمعصية لا تطيعه، وكذلك العبد إذا أمره سيده بمعصية لا يطيعه، لكن ليس معنى ذلك التمرد عليهم، فالناس لا يطيعون ولاة الأمور في المعاصي، لكن عليهم ألا يتمردوا عليهم وألا يعتدوا، ولا يطيع الابن الأب إذا أمر بمعصية لكن لا يتمرد عليه وإنما لا يطيعه في هذه المعصية، وما عداها يطيعه في طاعة الله وفي الأمور المباحة ويبره، وكذلك الزوجة لا تطيع زوجها في المعصية، لكن لا تتمرد عليه ففي غير المعصية تطيعه، وكذلك العبد لا يطيع سيده، لكن لا يتمرد عليه، بل عليه أن يطيعه فيما عدا ذلك.

○ قوله: **(ما داموا يصلون)** يعني: ما داموا يصلون فهم مؤمنون أما إذا فعلوا كفراً صريحاً واضحاً فكما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه لما أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور ولو كانوا عصاة، فقال النبي ﷺ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»(١)، وفي لفظ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»(٢)، فالمؤلف يقول إذا كانوا يصلون، وهذا دليل على أن ترك الصلاة كفر.

○ قوله: **(والولاة لا يخرج عليهم بالسيف)** يعني: لا يجوز الخروج على الولاة بالسيف، بل يجب السمع والطاعة لهم في طاعة

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٥).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٤).

الله وفي الأمور المباحة إلا إذا حصل كفر صريح من ولي الأمر، فإذا حصل كفر صريح موصوف بثلاث شروط جاز الخروج لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)، فالنبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور وعدم الخروج عليهم. قوله: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا**» يعني: لا بد أن يكون هذا الشيء الذي فعلوه كفراً لا فسقاً، ولابد أن يكون بواحاً يعني: واضحا لا شك فيه ولا لبس فيه، وقوله: «**عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» يعني: فيه دليل صريح يدل عليه، فإذا وجد الكفر الموصوف بهذه الأوصاف جاز **الخروج على ولي الأمر بشروط**:

الشرط الأول: أن يفعل ولي الأمر الكفر الموصوف بهذه الأوصاف بأن يكون الفعل كفراً لا فسقا.

الشرط الثاني: أن يكون الكفر بواحاً يعني: صريحا واضحا لا لبس فيه.

الشرط الثالث: أن يكون على هذا الكفر دليل واضح لهذا قال: «**عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**».

الشرط الرابع: وجود البديل المسلم يحل محل ولي الأمر الكافر، أما إذا لم يوجد ولي أمر مسلم بديل وإنما يزال ولي الأمر الكافر ويؤتى بولي أمر كافر بدله لم يحصل المقصود مثل الجمهوريات والانقلابات فتكون جمهورية كافرة فيحدث انقلاب عسكري كافر، ثم تتولى حكومة كافرة أخرى، وعليه لم يحصل المقصود فيبقى الناس على الأول.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، رقم (٧٠٥٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم(١٧٠٩).

الشرط الخامس: وجود القدرة على الخروج عليه، أما إذا لم يوجد القدرة فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

فهذه خمسة شروط إذا وُجدت خُرج على ولي الأمر، أما إذا لم تتوفر هذه الشروط فلا يجوز، فإذا لم يستطيعوا يبقى الناس ـ ولو وجدت الشروط ـ تحت ولاية هذا الولي حتى يفتح الله لهم،.

○ قوله: **(والخلافة في قريش)** يعني: أعتقد وأؤمن بأن الخلافة في قريش؛ لما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَان**»[1]، وفي لفظ آخر «**مَا أَقَامُوا الدِّينَ**»[2] فالخلافة تكون في قريش لو بقي منهم اثنان بهذا الشرط ما أقاموا الدين، أي: إذا كانوا يقيمون الدين، أما إذا لم يوجد من يقيم الدين فهنا الخلافة تكون في غيرهم، **والخلافة تكون في قريش بشروط**:

الشرط الأول: أن يكون الاختيار والانتخاب للمسلمين فإذا كان الاختيار والانتخاب للمسلمين ينتخبون ولي الأمر من قريش.

الشرط الثاني: أن يكون هذا الولي يقيم الدين، أما إذا لم يكن الاختيار والانتخاب للمسلمين بأن غلبهم بسيفه وسلطانه فإن هذا تثبت له الولاية، وكذلك إذا لم يوجد من قريش من يقيم الدين فإنها تكون في غيرهم؛ لأن **الخلافة تثبت بواحدة من ثلاثة أمور**:

الأمر الأول: الاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد، كما ثبتت الخلافة لأبي بكر الصديق باختيار أهل الحل والعقد، وكما

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ، رقم (٣٥٠١)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٠).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ، رقم (٣٥٠٠).

ثبتت أيضًا الخلافة لعثمان بن عفان بالاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد فاختاروا من قريش.

الأمر الثاني: تثبت الخلافة بولاية العهد من ولي الأمر السابق كما ثبتت الخلافة لعمر بن الخطاب ﷺ بولاية العهد من أبي بكر الصديق ﷺ.

الأمر الثالث : تثبت الخلافة لولي الأمر إذا غلب الناس بسيفه وسلطانه حتى يخضعوا له، لقول النبي ﷺ في حديث أبي ذر ﷺ: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»(١) ومعلوم أن لو كان الاختيار للمسلمين فلا يختارون العبد الحبشي، وإنما العبد الحبشي إذا غلبهم بسيفه وسلطانه وجب له السمع والطاعة وتثبت له الخلافة.

فالخلافة تكون لقريش إذا كان الاختيار للمسلمين، أما إذا لم يكن لهم الاختيار فلا، والخلافة في قريش إنما تأتي في عهد الخلفاء الراشدين وكذلك في أول الدولة الأموية، وبعد ذلك العباسية، وبعد ذلك صارت الخلافة في غير قريش إلى يومنا هذا.

■ **مسألة: ظهر عند بعض المتأخرين ما يسمى بالخروج باللسان ويقصدون به من يعلنون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما أعلن من منكرات؟**

• **الجواب**: تسمية هذا بالخروج باطل، فهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو واجب لا بد منه، فالله تعالى أمر به فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فكون الإنسان

(١) سبق تخريجه.

ينهى عن المنكر من المعاصي ونحوها ليس هذا خروجاً على ولاة الأمور، فكون الإنسان يأمر بالصلاة، وإذا رأى امرأة متبرجة نهاها، وإذا رأى من يشرب الدخان نصحه وإذا رأى من يحلق لحيته أو من يسبل ثيابه نصحه وليس هذا بخروج.

إنما الخروج على ولاة الأمور أن: يتكلم بلسانه، ويؤلب الناس على ولاة الأمور، وينشر عيوبهم ومثالبهم، وينفر الناس منهم، ويأمر الناس بالخروج عليهم.

أما كون الإنسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهذا يؤيد ولاة الأمور، فولاة الأمور لا يريدون المنكر، وولاة الأمور يحكمون شريعة الله.

فليست العبرة بالتسمية ولو كانت العبرة بالتسمية، لكان بعض الناس يسمي أشياء من الحق بأشياء ينفر عنها، ولو كان للتسمية كذلك لصار لتسمية بعض الناس الفوائد الربوية: عمولة، أو ربح مركب، اعتبارٌ، والحق أنه لا يحلها ولا يغير من الأمر شيء، كما يسمي بعضهم الخمر شراب: الروح، فالتسمية لا عبرة بها، إنما العبرة بالحقائق.

○ قوله: **(وأن قليل ما أسكر كثيره خمر)** يعني: وأؤمن بأن قليل ما أسكر كثيره خمر، يعني: أن الشيء الذي يسكر محرم والقليل الذي لا يسكر أيضا محرم، لما جاء في الحديث «**مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ**»[(١)]، وفي لفظ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ مِنْهُ**

---

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمُسْكِرِ، رقم (٣٦٨١)، والترمذي: أَبْوَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ مَا جَاءَ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، رقم (١٨٦٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، والنسائي: كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، تَحْرِيمُ كُلِّ شَرَابٍ أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، رقم (٥٦٠٧)، وابن ماجه: كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، رقم (٣٣٩٣).

الْفَرْقُ فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ»[(١)]، خلافا لأهل الكوفة من الأحناف وغيرهم الذين يقولون إن الخمر الذي لا يسكر لا بأس بتناول الشيء القليل منه، وكذلك قولهم: بأن الخمر لا يكون إلا من عصير العنب[(٢)]، والصواب أن الخمر تكون من عصير العنب ومن عصير الذرة والشعير وغيره، وكل مسكر فهو خمر كما قال النبي ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»[(٣)].

○ قوله: **(والمتعة حرام)**، المتعة هي: النكاح إلى أجل؛ يعني: أن يتفق الرجل مع امرأة يتزوجها شهرا أو شهرين أو سنة أو سنتين ثم يطلقها وهي حرام، وهي أخت الزنا وهذا عند الرافضة وغيرهم باقٍ، فيرون أن المتعة حلال، وقد كانت المتعة في أول الإسلام حلالاً ثم حُرمت، كما جاء في الحديث: «**نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ**»[(٤)]، وكذلك نهى ﷺ عن المتعة يوم فتح مكة[(٥)] كما في الحديث الآخر: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ، أَلَا وَإِنَّ اللهَ قَدْ**

---

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمُسْكِرِ، رقم (٣٦٨٧)، والترمذي: أَبْوَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ مَا جَاءَ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، رقم (١٨٦٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

(٢) قال في المبسوط للسرخسي (٢٤ /١٨): [وَلَا حَدَّ عَلَى شَارِبِ مَا يُتَّخَذُ مِنْ الْعَسَلِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالذُّرَةِ، وَكَذَلِكَ مَا يُتَّخَذُ مِنْ الْفَانِيدِ، وَالتُّوتِ، وَالْكُمَّثْرَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ أَسْكَرَ، أَوْ لَمْ يُسْكِرْ؛ لِأَنَّ النَّصَّ، وَرَدَ بِالْحَدِّ فِي الْخَمْرِ، وَهَذَا لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ]، وقال في الاختيار (٤ /١٠١): [وَنَبِيذُ الْعَسَلِ وَالتِّينِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ حَلَالٌ طُبِخَ أَوْ لَا؛ وَفِي حَدِّ السَّكْرَانِ مِنْهُ رِوَايَتَانِ].

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الْأَشْرِبَةِ، رقم (٢٠٠٣).

(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، رقم (٤٢١٦)، ومسلم: كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ رقم (١٤٠٧).

(٥) كما في الحديث «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ» أخرجه أحمد في المسند، رقم (١٥٣٣٧).

حَرَّمَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١] فالله حرمها إلى يوم القيامة، لكن الشيعة من الرافضة وغيرهم يعتقدون أن المتعة حلال ولهذا يتزوجون زواج المتعة فيصير عند الواحد زوجات متعددات كثيرات، ولهذا يكون عندهم أولاد كثيرون كلهم من المتعة، فالمتعة حرام لأن الله حرمها إلى يوم القيامة.

○ قوله: **(فأوصي بتقوى الله ﷻ ولزوم السنة والآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه)** أي: يوصي غيره ممن سمع هذه الوصية بتقوى الله، فتقوى الله جماع الدين، وأصل التقوى توحيد الله وإخلاص الدين له وأداء الواجبات وترك المحرمات، وهي وصية الله للأولين والآخرين وهي وصية نبينا ﷺ إلى أمته، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال ﷺ: **«اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**[٢]، وهي أيضا وصية العلماء والمصلحون، ولهذا أوصى الإمام الشافعي رحمه الله: **(بتقوى الله ﷻ ولزوم السنة)**، يعني: لزوم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ امتثالاً لأمر النبي ﷺ في قوله: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**[٣]، فالإمام

(١) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ، رقم (١٩٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي: البِرِّ وَالصِّلَةِ،بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ؛ رقم (١٩٨٧)؛ وأحمد في المسند، رقم (٢١٣٥٤)؛ وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) أخرجه أبو داود : كتاب السنة، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي : أبواب العلم،بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه: المقدمة، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، رقم (٤٢).

الشافعي ﵀ أمر بلزوم السنة امتثالاً لأمر النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ أمر بلزوم السنة، فقال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» يعني: الزموها، **(والآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه)**، يعني: الزموا الآثار واعملوا بها، والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ وأصحابه الزموها.

○ قوله: **(وترك البدع والأهواء واجتنابها،)** يعني: أوصي بترك البدع، والأهواء هي البدع، والبدع جمع بدعة، وهي كل حدث في الدين، قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)] رواه الشيخان من حديث عائشة ﵂، وفي لفظ لمسلم «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)].

○ قوله: **(واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)** يعني: عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، وتقوى الله حق تقاته جاء تفسيرها عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: «**هُوَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَر**»[(٣)]، وقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغَابُن: ١٦] لأن الإنسان لا يستطيع ذلك، وقول النبي ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[(٤)] ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]: يعني: الزموا طاعة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية،، رقم (١٧١٨).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٢٢/ ٣٩٠٨)، وابن جرير في تفسيره (٧/ ٦٥/ ٧٥٣٦)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٧) [وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَوْقُوفٌ].
(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رقم (٧٢٨٨)؛ ومسلم: كِتَابُ الْحَجِّ، رقم (١٣٣٧).

الله واستمروا عليها وأخلصوا له العبادة وجاهدوا أنفسكم على ذلك حتى يأتيكم الموت وأنتم على الإسلام غير مغيرين ولا مبدلين. قال الإمام فإنها وصية الأولين والآخرين يعني: التقوى وصية الأولين والآخرين من الله ﷻ كما سمعتم في الآية ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: ١٣١].

○ قوله: **(وإن من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)** هذا أيضا مأخوذ من الآية الكريمة، والمعنى: من يجعل بينه وبين النار وغضب الله وسخطه وقاية؛ بالتوحيد والإخلاص وأداء الواجبات وترك المحرمات، فإن الله يجعل له فرجاً من الكربات والشدائد، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن اتقى الله فهو موعود بالرزق وموعود بتفريج الكربات.

○ قوله: **(فاتقوا الله ما استطعتم)** يعني: اتقوا الله على حسب استطاعتكم؛ عملاً بالآية ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، وعملاً بقول النبي ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[(١)].

○ قوله: **(وعليكم بالجمعة والجماعة)** يعني: الزموا الجمعة والجماعة فإن الله أوجب الجمعة على المقيمين في المدن والقرى والمستوطنين، وكذلك ألزم الله الجماعة على من يسمع النداء من الرجال، ولهذا قال: **(عليكم بالجمعة والجماعة)**؛ امتثالاً للنصوص التي فيها الأمر بالجمعة والجماعة.

○ قوله: **(ولزوم السنة والإيمان والتفقه في الدين)** يعني: لزوم سنة الرسول ﷺ، ولزوم الإيمان كما تقدم، ولزوم التفقه في الدين

(١) سبق تخريجه.

عملاً بقول النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(١)].

○ قوله: **(ومن حضرني منكم فليلقني لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله)** يعني: من حضرني منكم عند الوفاة أي: عند حضور الأجل والممات فلْيلقنّي الشهادة؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٢)]، وشهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها: أن محمداً رسول الله.

○ قوله: **(وتعاهدوا الأظفار والشارب قبل الوفاة إن شاء الله)** يعني: إذا حضرت في الوفاة فمن كان عندي ورأى أن الشارب طويل فليقصه وإذا كانت الأظفار طويلة فليقصها؛ لأن النبي ﷺ أمر بتعاهد الأظفار والشارب وأخبر أنها من الفطرة، قال النبي ﷺ: «**عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**» قَالَ زَكَرِيَّا: قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ[(٣)]، وفي حديث أنس رضي الله عنه: «**وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم (٧١)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، بَاب فِي التَّلْقِينِ، رقم (٣١١٦)، وأحمد في "المسند": رقم (٢٢٠٨٧)، قال الحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٣): «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٣) أخرجه مسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم (٢٦١).

(٤) أخرجه مسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم (٢٥٨).

○ قال **(فإذا حضرت فإن كانت عندي حائضا فلتقم)** وهذا اجتهاد من الإمام؛ لأن الحيض جنابة وحدث أكبر، ويخشى أن تكون ملائكة الرحمة لا تحضر المجلس الذي فيه جنب، كما في بعض الأحاديث: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ وَلَا جُنُبٌ**»[1]، ولكن فيه بعض الضعف، فالمقصود أن الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ أمر بقيام الحائض من المجلس حتى تحضر ملائكة الرحمة خشية أن يكون وجود الجنب أو الحائض مانعاً من حضورهم.

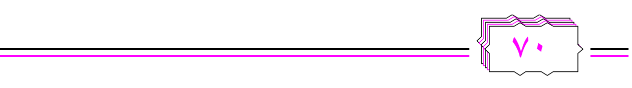
■ مسألة: **لماذا ذكر الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ الحائض ولم يذكر الجنب؟**

● الجواب: الحكم واحد، وعلى كل حال هذا اجتهاد منه، والحائض والجنب المعنى فيهما واحد؛ لأنهما حدثان أكبران، لعله خص الحائض بالذكر لأن في الغالب أن الجنب مدته لا تطول، أما الحائض فإن مدتها تطول.

○ قوله: **(وليطيبوا وليدخنوا عند فراشي)** أمر بالتطييب بالدخنة والبخور عند فراشه؛ لأنه وقت نزول الملائكة حتى يكون المكان فيه رائحة طيبة.



(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابٌ فِي الْجُنُبِ يُؤَخِّرُ الْغُسْلَ، رقم(٢٢٧)، والنسائي في الكبرى كِتَاب الطَّهَارَةِ، الْجُنُبُ إِذَا لَمْ يَتَوَضَّأْ، رقم (٢٥٣)، وضعفه ابن حجر في فتح الباري(١/ ٣٩٢).





اعتقاد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو يعلى الخليل بن عبدالله الحافظ قال أنبأنا أبو القاسم ابن علقمة الأبهري قال أنبأنا عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي عن أبي شعيب وأبي ثور عن أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأشهد أن الجنة والنار حق وأن الساعة لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأؤمن بجميع ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم وأعقد قلبي على ما ظهر من لساني ولا أشك في إيماني ولا أكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب وإن عمل بالكبائر وأكلهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وأرضى بقضاء الله وقدره وإرادته بخيره وشره وهما مخلوقان مقدران على العباد، من شاء الله أن يكفر كفر ومن شاء أن يؤمن آمن ولم يرض الله عَزَّ وَجَلَّ الشر ولم يأمر به ولم يحبه بل أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ولا أنزل المحسن من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة بإحسانه ولا المسيء بإساءته النار خلق الخلق على ما أراد فكل ميسر لما خلق له كما جاء في الحديث وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ بصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُحدّث بفضائلهم وأُمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم وأقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الخلفاء الأئمة الراشدون وأعقد قلبي ولساني على أن القرآن كلام الله منزل غير

مخلوق والكلام في اللفظ والوقف بدعة والإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأؤمن بالرؤية كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ولما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] دل على أنهم في حال الرضا غير محجوبين ينظرون إليه ولا يضامون في رؤيته يعني: لا يشكون).

الشرح

هذه عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله نقلها جامعها بالسند أن أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال: **(القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما)** يعني: أنه على معتقد أهل السنة والجماعة وعلى معتقد أصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهم من أهل السنة والجماعة، فهم على عقيدة السلف وهي عقيدة الصحابة والتابعين وهي مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهي عقيدة الأئمة والعلماء.

❍ قوله: **(الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)** يعني: أشهد لله تعالى بالوحدانية وأشهد لنبيه محمد ﷺ بالرسالة، أعتقد هذا كما يعتقده السلف من الأئمة والعلماء والصحابة والتابعين.

❍ قوله: **(وأشهد أن الجنة والنار حق)** كما سبق أن الجنة والنار حق وأن من لم يؤمن بالجنة والنار فهو كافر، والجنة والنار مخلوقتان الآن خلافاً للمعتزلة الذين يقولون أنهما تخلقان يوم القيامة لأن خلقهم الآن ولا جزاء عبث، والعبث محال على الله هكذا

يزعمون وهذا من أبطل الباطل، فالنصوص دلت على أن الجنة والنار مخلوقتان، فالله تعالى قال عن الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣] وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٤]، معدة ومهيأة، وقولهم أنه ليس فيها جزاء باطل، فأرواح المؤمنين تنعم في الجنة وأرواح الكفار تعذب في النار، والمؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره والكافر يفتح له باب إلى النار.

وأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ترد أنهارها وتأكل من ثمارها كما جاء في الحديث «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**»(١).

■ مسألة: **الجنة والنار مخلوقتان الآن، فهل دخلها أحد، مثل المرأة التي دخلت النار في هرة؟**

• **الجواب:** المرأة التي دخلت النار في الهرة هذا في البرزخ، وقال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غَافر: ٤٦] هذا في البرزخ ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غَافر: ٤٦]، والمؤمن يُفتح له بابٌ من الجنة فيأتيه من نعيمها وطيبها وهوائها ـ نسأل الله من فضله ـ، والكافر يُفتح له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ـ نعوذ بالله ـ.

○ قوله: **(وأن الساعة لا ريب فيها)** يعني: أؤمن بيوم القيامة.

○ قوله: **(وأن الله يبعث من في القبور)** يعني: يبعث الأجساد كما سبق.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٨٧).

○ قوله: **(وأؤمن بجميع ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم)** يعني: أؤمن بجميع ما جاءت به الأنبياء من الشرائع وما جاء في الكتب المنزلة.

○ قوله: **(وأعقد قلبي على ما ظهر من لساني ولا أشك في إيماني)** يعني: أعتقد بما في عقيدة أهل السنة والجماعة وأنطق بها بلساني، والقلب موافق لما ينطق به اللسان، خلافاً للمنافقين الذين يقولون بألسنتهم ولا يعتقدون بقلوبهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]، فالإمام الشافعي رحمه الله يقول: **(أعقد قلبي)** يعني: أعتقد في قلبي على ما ظهر من لساني ولا أشك في إيماني كما يشك المنافقون، فإن المنافقين عندهم شك وريب وتردد؛ كما قال تعالى: عن المنافقين ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ [التوبة: ٤٥] أي: يشكون.

○ قوله: **(ولا أكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب وإن عمل بالكبائر وأكلهم إلى الله ﷻ)** يعني: أعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة وهو أن المسلم الموحد لا يكفر بالذنب، وإن عمل بالكبائر إلا إذا فعل ناقضاً من نواقض الإسلام أو شركاً في العبادة، كأن يدعو أحداً غير الله، أو ينكر ربوبية الله أو ألوهيته أو ينكر نبوة النبي ﷺ، أو ينكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وجوبه، كأن ينكر وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب الحج أو ينكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة تحريمه، كأن ينكر تحريم الزنا أو تحريم الربا أو تحريم الخمر، فهذه نواقض، لكن المعاصي لا يكفر بها الإنسان، فمن فعل الزنا أو السرقة أو شرب الخمر وهو لا يستحلها ويعلم أنه

عاص قد فعلها طاعةً للهوى والشيطان، فهذا لا يكفر.

ولا يُكفِّرُ بالكبائر ويخلد في النار إلا الخوارج فيكفِّرون بالكبائر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر لكن يخلد في النار، فالإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يقول أنا على عقيدة أهل السنة ولست على عقيدة الخوارج، فلا أكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا بالكبائر كما يعتقده الخوارج.

○ قوله: **(وأكلهم إلى الله)** يعني: أن العصاة تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر لهم بتوحيدهم وإيمانهم وإسلامهم وأدخلهم الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبهم على قدر جرائمهم ومعاصيهم، ثم يخرجون منها إلى الجنة بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، فالعاصي الذي مات على الكبائر من غير توبة تحت مشيئة الله قد يغفر له وقد يُعذب، لكن مآله إلى الجنة لا يخلد في النار، ولا يكفر بالكبائر والمعاصي إلا الخوارج، والخوارج فرقة ضالة منحرفة عن جادة الصواب والحق.

○ قوله: **(وأرضى بقضاء الله وقدره وإرادته بخيره وشره وهما مخلوقان مقدران على العباد، من شاء الله أن يكفر كفر ومن شاء أن يؤمن آمن)** يعني: أؤمن بقضاء الله وقدره، يعني: أؤمن بقدر الله بمراتبه الأربع: أؤمن بعلم الله الأزلي، وأؤمن بكتابته للأشياء باللوح المحفوظ، وأؤمن بالإرادة والمشيئة، وأؤمن بالخلق والإيجاد، وأؤمن بالقدر خيره أو شره، كله من الله، وهما مخلوقان يعني: الخير والشر مخلوقان، فالله تعالى خلق الخير والشر، فكل شيء في هذا الوجود خلقه الله كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[الزُّمَر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفُرقان: ٢]، فالخير والشر مقدران على العباد لحكمة بالغة، فمن شاء الله أن يكفر كفر ومن شاء أن يؤمن آمن كما قال سبحانه ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، من شاء الله أن يكفر كفر لحكمة بالغة، والله تعالى يهدي من يشاء برحمته وفضله ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وقدر الكفر على الكافر والمعصية على العاصي؛ لحكم تترتب على ذلك، ووفق المؤمن للإيمان؛ برحمته وتوفيقه.

■ **مسألة: ما الفرق بين قضاء الله وقدره؟**

• **الجواب:** القضاء والقدر إذا أطلق أحدها دخل فيه الآخر، وإذا اجتمعا فكل واحد له معنى، فالقضاء له معان ذكرها العلماء في كتب التوحيد وفي غيرها، وهذه المعاني مأخوذة من القرآن والسنة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣]، هنا أمر ووصى.

○ قوله: **(ولم يرض الله ولم يأمر به ولم يحبه)** يعني: لا يرضى الله الشر دينا وشرعاً، ولا يأمر به، ولا يحب المعاصي والشرور والكفر، ولا يأمر بها ولا يرضاها ولا يحبها، وإن كان قدرها، وأرادها كوناً وقدراً، فالله تعالى أراد وقوع الكفر والمعاصي كوناً وقدراً لما يترتب على ذلك من الحكم ولكنه لا يريدها ديناً ولا شرعاً ولا يرضاها ولا يحبها ولا يأمر بها.

○ قوله: **(بل أمر بالطاعة وأحبها ورضيها)** الطاعة أحبها الله ورضيها وأمر بها شرعاً وديناً ولكن قد تقع الطاعة من العبد، وقد تقع المعصية، فالذي يقع من العبد هو الذي قدره الله عليه، فالطاعة أحبها الله ورضيها، والمعصية يكرهها الله ولا يأمر بها، أما عن

المعاصي والكفر فإنها تقع من العباد وفق الإرادة الكونية القدرية.

وكلمات الله نوعان:

١- الكلمات الكونية، وهي: التي يخلق الله بها الخلق كقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، فكلمة ﴿كُن﴾ هذه كونية، وكلمة الله الكونية هي التي يخلق بها.

٢- الكلمات الدينية، وهي: التي يتعبد بها عباده مثل آيات القرآن هذه كلمات الله الدينية.

■ مسألة: **بعضهم يتساءل، بأنه إذا كان كل شيء يحدث بمشيئة الله، فكيف نرى المشركين والعصاة وهم يعملون ما يغضب الله ولا يرضاه؟**

• الجواب: أن الذي يقول هذا الكلام لم يفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الدينية، فالإرادة الكونية ترادف المشيئة فلا يكون شيءٌ في هذا الوجود إلا إذا أراده الله، وأما الإرادة الدينية فهي ما شرعه الله، فالذي يقع في هذا الكون هو ما أراده الله كوناً وقدراً، أما ما أراده ديناً وشرعاً فقد يقع وقد لا يقع.

والإرادة الدينية الشرعية هي: ما شرعه الله في كتابه و سنة رسوله، فالله أمر بالصلاة، وليس كل إنسان يصلي.

والإرادة الكونية هي: قضاء الله وقدره، أي: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، فمن قدر الله أنه مسلم وأنه يصلي فإنه يصلي، ومن قدر الله أنه يكفر ولا يصلي فلا يصلي، فلابد من إثبات إرادتين:

إرادة كونية قدرية خلقية لا يتخلف مرادها.

وإرادة دينية شرعية، قد تحصل وقد لا تحصل.

وتجتمع الإرادتان في المؤمن المطيع، فأبو بكر اجتمعت فيه الإرادتان ﭬ، أراد الله منه الإيمان ديناً وشرعاً وكوناً وقدراً، وأبو لهب أراد الله منه الإيمان ديناً وشرعاً ولكنه لم يرده كوناً وقدراً.

○ قوله: **(ولا أنزل محسنا من أمة محمد ﷺ الجنة بإحسانه ولا المسيء بإساءته النار)**، يعني: أنه لا يشهد للمعين بالجنة ولو كان محسناً، ولا يشهد بالنار لمعين ولو كان مسيئاً، والمراد أهل القبلة من المسلمين، المسلمون يُشهد لهم بالجنة على العموم، فيقال: كل مؤمن في الجنة، وكذلك الكفرة يُشهد لهم بالنار على العموم، فيقال: كل كافر بالنار، لكن لا يشهد لمعين بالجنة ولا يقال: فلان ابن فلان في الجنة إلا ما شهدت له النصوص، كما شهد النبي ﷺ للعشرة المبشرين بالجنة وكما شهد للحسن والحسين بالجنة وكما شهد لعكاشة بن محصن بالجنة وبلال وعبدالله بن سلام وجماعة، فالذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة بأعيانهم نشهد لهم بالجنة، وأما من لم يشهد لهم فإن أهل السنة والجماعة يشهدون للمؤمنين والمحسنين بالعموم، فنقول: كل مؤمن بالجنة وكل محسن بالجنة، لكن فلان ابن فلان لا يشهد له بعينه أنه بالجنة، وكذلك العصاة ما نشهد لكل واحد منهم بالنار، لكن نخاف عليهم ولا يشهد لهم بالنار ما داموا من أهل القبلة ولم يفعلوا مكفراً، فلا يشهد للمحسن بالجنة ولا يشهد على المسيء بالنار بأعيانهم، ولكن نرجوا للمحسن الجنة ونخاف على المسيء، المحسن نرجوا له الجنة بغير شهادة له بعينه والمسيء نخاف عليه من النار ولا نشهد له بعينه بأنه في النار، وكذلك الكفرة نشهد لهم بالنار بالعموم وأما من عُرف أنه قامت عليه الحجة وأنه لا شبهة له وأنه مات على الشرك وأنه بلغته الدعوة فهذا يكفر ويشهد له أنه كافر ويشهد بأنه في النار، أما من لم تعلم حاله فيشهد بالعموم فيقال كل كافر في النار.

❍ قوله: **(خلق الخلق على ما أراد فكل ميسر لما خلق له كما جاء في الحديث)** يعني: أن الله ﷻ علم الأشياء في الأزل ثم كتبها في اللوح المحفوظ ثم أراد وقوعها فأوجدها وخلقها على ما أراد، وقوله: **(أراد)** يعني: كوناً وقدراً؛ لأن مراتب القدر أربعة، العلم الأزلي ثم الكتابة ثم الإرادة والمشيئة ثم الخلق، فكل شيء يقع في هذا الوجود أراد الله وجوده كوناً وقدراً، فإبليس والشياطين أراد الله خلقها فوجدت، لو لم يرد الله وجودها لم توجد لكن خلقها وأوجدها لحكم وأسرار، وكل صائر إلى ما قدر من خير أو شر والله تعالى له حكمة بالغة، أفعاله مبنية على الحكمة، وأوامره مبنية على الحكمة، وشرعه مبني على الحكمة، وخلقه مبني على الحكمة، فما خلق سبحانه شيئاً إلا بحكمة، فخلق إبليس والشياطين لأسرار وحكم، ولولا خلق إبليس والشياطين لما حصلت عبوديات يحبها الله، كعبودية الجهاد في سبيل الله، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الولاء والبراء، وعبودية الدعوة إلى الله، وعبودية الحب في الله والبغض في الله، فكل هذه العبادات المتنوعة وجدت بسبب خلق إبليس والشياطين والكفرة، فالله سبحانه له ﷻ، وكل ما يقع في هذا الكون قد أراده الله ﷻ.

❍ قوله: **(وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه محمد ﷺ)** يعني: أعرف حقهم وأنهم أفضل القرون، والسلف المراد بهم الصحابة الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه ﷺ.

وحق الصحابة هو: أن يُعترف بفضلهم وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وأنه لا يلحقهم أحد من بعدهم بفضيلة الصحبة والجهاد مع النبي ﷺ، وتبليغ الدعوة، وتبليغ الدين والشريعة فقد خصهم الله بذلك، لا كان ولن يكون مثلهم.

○ قوله: **(وأحدث بفضائلهم)** يعني: أحدث الناس بفضائلهم، فلهم فضائل منها أنهم سبقوا إلى الإسلام، وأنهم جاهدوا مع النبي ﷺ، وأنهم نشروا دين الله.

○ قوله: **(وأمُسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم)** يقول أمسك عن الخلافات التي حصلت بينهم لأنها صدرت عن اجتهاد، فالنزاع الذي حصل بينهم والحروب التي حصلت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما والوقائع التي حصلت مثل وقعة صفين وقتل الجمل، كل هذه نشأت عن اجتهاد فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، وما يُنقل عن الصحابة من الأخبار فإن منها ما هو كذب لا أساس له من الصحة، ومنها ما له أصل لكن زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، ومنها ما هو صحيح، والصحابة ما بين مجتهد مصيب له أجران وما بين مجتهد مخطئ له أجر واحد وفاته أجر الإصابة كما في الصحيحين: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَان، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[(١)]، وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة العقيدة الواسطية[(٢)] وقرره غيره من أهل العلم.

○ قوله: **(وأقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم)** الخلفاء الراشدون يقدمهم على غيرهم في الفضيلة. فأفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، يليه في الفضيلة ثم عثمان رضي الله عنه، يليه في الفضيلة ثم علي رضي الله عنه.

○ قوله: **(وأعقد قلبي ولساني على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق)** يعني: أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي أن كلام الله

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، رقم (٧٣٥٢)، ومسلم: كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، رقم (١٧١٦).

(٢) انظر: الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٢٩).

منزل غير مخلوق لفظه ومعناه.

خلافاً للمعتزلة القائلين بأن كلام الله مخلوق لفظه ومعناه.

وخلافاً للأشاعرة الذين يقولون أن القرآن كلام الله بالمعنى النفسي وأن الألفاظ والحروف مخلوقة وهذا باطل

وبين المؤلف أن ذلك هو ما عقد عليه قلبه ولسانه يعني أن اللسان: يوافق عقيدة القلب خلافاً للمنافقين الذين قلوبهم ومعتقدهم يخالف ما تنطق به ألسنتهم.

❍ قوله: **(والكلام في اللفظ والوقف بدعة)** يعني: أن الكلام في اللفظ بدعة، فما أحدثه الناس بقولهم: لفظي بالقرآن مخلوق، يعني: كلامي هذا كلام البشر، وأما كلام الله فغير مخلوق، فهذا بدعة؛ لأنه لم يقله السلف، فلا ينبغي أن نتكلم باللفظ لا نفياً ولا إثباتاً، فلا تتكلم بما لم تتكلم به السلف.

❍ قوله: **(والوقف بدعة)**، أي: أن بعض الناس يتوقف، فيقول: لا أقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، فهذا بدعة أيضاً، بل على المسلم أن يجزم ولا يتوقف بل يقول ما قاله السلف من أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فلا يتوقف؛ إذ التوقف بدعة، كما أن اللفظ بدعة.

فيجب أن يجزم الإنسان أن القرآن كلام الله ولا يتوقف، فإن التوقف بدعة مكفرة؛ لأنه حدث في الدين.

❍ قوله: **(والإيمان قول وعمل يزيد وينقص)**: هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، قول القلب وهو التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق، وعمل القلب وهو النية والإخلاص، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام يزيد وينقص.

خلافاً للمرجئة الغلاة الجهمية الذين يقولون الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، أو الإيمان هو النطق باللسان فقط كما يقول الكرامية، أو الإيمان هو التصديق بالقلب كما يقول الماتريدية والأشاعرة، أو الإيمان هو القول والتصديق كما يقول مرجئة الفقهاء، والصواب ما عليه جمهور أهل السنة من أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما قرره الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

▪ **مسألة: ما الفرق بين قول اللسان وقول القلب وبين عمل اللسان وعمل القلب؟**

• **الجواب:** قول اللسان هو النطق، ينطق ويتكلم فيقرأ القرآن ويدعو إلى الله ويأمر بالمعروف.

وقول القلب الاعتراف والتصديق والإقرار، وعمل القلب النية والإخلاص والصدق والمحبة بالمعروف.

وقول اللسان هو عمل اللسان، فالنطق باللسان يسمى قول اللسان ويسمى عمل اللسان.

○ قوله: **(وأؤمن بالرؤية كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ)** يعني: أؤمن بأن الله يُرى يوم القيامة، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم من فوقهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وكما في الحديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[2].

○ قوله: **(ولما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] دل على أنهم في حال الرضا غير محجوبين**

(١) انظر ما تقدم (٤٤-٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

ينظرون إليه ولا يضامون في رؤيته يعني: لا يشكون)، الإمام الشافعي رحمه الله يستدل بهذه الآية على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة؛ لأن هذه الآية تدل على أن الكفار محجوبين عن الله فلا يرونه، وإذا كان الكفرة محجوبين عن الله فإن مفهوم ذلك أن المؤمنين غير محجوبين فيرون الله ﷻ، ولو كان المؤمنون لا يرون الله لكانوا هم والكفار سواء في الحجب، فلما حجب الكفار عن رؤية الله دل على أن المؤمنين لا يحجبون، والإمام الشافعي رحمه الله استدل بهذه الآية على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والعلماء ينقلون عن الشافعي هذا ويقولون أن الشافعي رحمه الله يقول: «**فلما حجبهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا**»[1]، أي: لما حجب الكفرة عن الله في السخط لأنه مسخوط عليهم حجبهم الله عن رؤيته دل على أن المؤمنين يرونه في الرضا ولو كان المؤمنون لا يرون الله لتساووا هم والكفرة بالحجب فلما حجب الكفار دل على أن المؤمنين غير محجوبين، ولهذا قال الإمام: **(ولما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] دل على أنهم في حال الرضا غير محجوبين)**، يعني: أن المؤمنين في حال الرضا غير محجوبين، فالمؤمنون مرضي عليهم فهم غير محجوبين ينظرون إلى الله، وقوله: **(ولا يضامون في رؤيته)** يعني: لا يحصل لهم شك ولا يحصل لهم ريب ولا تعب، والكفرة مسخوط عليهم فهم محجوبون.



---

(١) انظر: تفسير الشافعي (٣/ ١٤٢٩) تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ وأن الله ﷻ على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء والمسح على الخفين في الحضر والسفر والجهاد ماض مع كل بر وفاجر وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا يخرج عليهم بالسيف والإيمان بعذاب القبر والإيمان بالحوض والشفاعة وخروج الدجال حق ومنكر ونكير حق والإيمان بهذا كله حق فمن ترك من هذا شيئا فهو مخالف لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ).

الشرح

يعني: أؤمن بأن الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، والشفاعة لأهل الكبائر جاءت في أحاديث متواترة عن النبي ﷺ ومع ذلك أنكرها أهل البدع من المعتزلة والخوارج، فأنكروا الشفاعة في خروج عصاة الموحدين، وأنكروا الشفاعة لمن دخل منهم لأن المعتزلة والخوارج من أهل الزيغ ومن أهل الضلال ومن أهل البدع، فهم خالفوا النصوص وحكموا على العصاة بالخلود في النار، وأنزلوا النصوص التي وردت في الكفار على العصاة، فأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر الموحدين مع أن الأحاديث في هذا متواترة، فقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه يشفع في أهل الكبائر خمس

مرات في كل مرة يحد الله له حداً فيخرجهم من النار كما في الحديث: «**فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ**» قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ، قَالَ: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ**»[(١)]، جاء في بعض الأحاديث: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**»[(٢)]، وفي بعض الأحاديث: «**اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَان فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا**»[(٣)]، وكذلك أيضا ثبت

---

(١) أخرج البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صَ: ٧٥]، رقم (٧٤١٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٩٣).

(٢) أخرج البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم (٧٤١٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٩٣).

(٣) أخرج البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] رقم(٧٤٣٩)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٨٣).

في الأحاديث أن الملائكة يشفعون وأن الأنبياء السابقين يشفعون وأن الصالحين يشفعون وأن الشهداء يشفعون وأن الأفراط يشفعون وتبقى شفاعة وتبقى بقية من العصاة لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته يقول: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ**»[1]، زيادة على التوحيد والإيمان، فالأحاديث في هذا متواترة ومع ذلك أنكرها أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، أنكر عليهم أهل السنة وبدعوهم وصاحوا بهم وأنكروا عليهم.

▪ مسألة: **هل الشفاعة لأهل الكبائر فقط أم هي أيضا لأهل الصغائر؟**

• **الجواب:** الشفاعة تكون لأهل الكبائر، أما الصغائر فإنها تغفر بأداء الفرائض واجتناب الكبائر، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّسَاء: ٣١]، يعني: الصغائر بنص القرآن تكفر، وقال عليه السلام في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»[2]، مكفرات لما بينهن يعني: الصغائر.

○ قوله: **(وأن الله ﷻ على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء)** هذا فيه: إثبات علو الله على عرشه، وسبق بيان أن الإمام الشافعي يثبت علو الله على عرشه.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَان، رقم (١٨٣).
(٢) أخرجه مسلم: كِتَاب الطَّهَارَةِ، رقم (٢٣٣).

والنصوص التي دلت على علو الله على خلقه كثيرة أفرادها تزيد على ثلاثة آلاف دليل، وهناك قواعد وأصول ترجع إليها هذه الأدلة، منها نصوص الاستواء على العرش جاءت في سبعة مواضع، ومنها نصوص العلو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ونصوص الفوقية كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعَام: ١٨] والنصوص التي فيها الصعود: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠] والنصوص التي فيها التنزيل: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [الزُّمَر: ١]، والسؤال عن الله بأين في حديث الجارية «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، والنصوص التي فيها رفع اليدين إلى السماء إلى غير ذلك من الأدلة، ومع ذلك أنكرها طوائف من أهل البدع.

فالطائفة الأولى من الجهمية: قالوا: إن الرب ليس فوق العرش وليس في العلو، وإنما هو مختلط بمخلوقاته حتى قالوا أنه في كل مكان وأنه في بطون السباع وفي أجواف الطيور ـ نعوذ بالله ـ.

والطائفة الثانية ـ وهم المتأخرون منهم ـ: نفوا النقيضين، وقالوا: إن الرب ليس داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا مباين له ولا متصل به ولا منفصل عنه وهذا كفر وضلال ـ والعياذ بالله ـ.

فالإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُثبت علو الله على عرشه؛ كما دلت على ذلك النصوص، وكما هو عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين من بعدهم؛ حيث تلقَّوها من نبيهم ﷺ.

❍ قوله: **(يقرب من خلقه كيف شاء)** أي: أنه سبحانه على العرش، كما أنه ينزل ـ وهو على العرش سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ إلى السماء الدنيا، وقربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خاص ليس عاما، وقربه من الداعين بالإجابة؛ كما قال

سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، وكما في قوله: ﷻ عن نبيه صالح: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۝٦١﴾ [هُود: ٦١] يعني: قريب من المستغفرين التائبين، وكما قال عن نبيه شعيب: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هُود: ٩٠]، فهو رحيم بالمستغفرين التائبين وقريب منهم، وقربه من العابدين بالإثابة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝١٩﴾ [العَلَق: ١٩] فالساجد قريب من الله.

○ قوله: **(وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء)** فيه: إثبات النزول لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته لا يُكيَّف ولا يُمَاثل خلقه في شيء من صفاته ﷻ، فنثبت النزول لله ﷻ كيف شاء سبحانه، والله أعلم بالكيفية، وقد تواترت الأحاديث بإثبات النزول؛ فقال النبي ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١) وفي لفظ: «**حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»(٢)، هذا حديث متواتر رواه الشيخان وأهل السنن وأصحاب المسانيد وغيرهم.

وأثبت أهل السنة والجماعة النزول، وأنكر أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم النزول.

فعلى المسلم أن يحذر من المعتزلة والأشاعرة والجهمية والرافضة والصوفية، فكلهم موجودون الآن ومنتشرون، قد امتلأت الأرض بهم في كل مكان، في مصر والشام، وكذلك في المغرب، وفي الجزائر، وفي باكستان، وفي ليبيا، موجودة هذه المذاهب كلها.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

(٢) هذه الزيادة جاءت عند أحمد في مسنده رقم (٩٦٧).

○ قوله: (والمسح على الخفين بالحضر والسفر) يعني: وأؤمن بالمسح على الخفين في الحضر والسفر، والمسح على الخفين من المسائل الفقهية الفرعية التي تبحث في كتب الفقه وفي كتب الفروع، ولكن العلماء يذكرونها في كتب العقائد لأجل الرد على الرافضة الذين أنكروا المسح على الخفين، فلهذا ذكروه في كتب العقائد، وليس المراد التفصيل في المسح على الخفين فالتفصيل في كتب الفروع، ـ فيذكرون شروط المسح على الخفين، ومدة المسح على الخفين في الحضر وفي السفر ـ وإنما المراد هنا: اعتقاد مشروعية المسح على الخفين؛ وذلك للرد على الرافضة الذين يرون أنه لا يجوز المسح على الخفين، ولا يجوز غسل الرجلين، بل يقولون من عليه خفين فإنه إذا توضأ فإنه يجب خلع الخفين ومسح ظهور القدمين، فالرجلان لا تغسلان ولا تمسحان إذا كانتا مكشوفتين في الوضوء، وإنما تمسحان إذا كان عليهما الخفان، وإنما الواجب مسح ظهور القدمين، هكذا يقولون؛

واستدلوا: بقراءة الجر التي جاءت في آية المائدة وهي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، قالوا إن الأرجل مجرورة، وهي معطوفة على الممسوح، والمعطوف على الممسوح ممسوح، فالرجلان تمسحان كما أن الرأس يمسح.

وأهل السنة والجماعة أجابوا عنها بجوابين:

الجواب الأول: أن الآية محمولة على المسح على الخفين لمن كان عليه خفان، فإنه يمسح عليهما إذا لبسهما على طهارة.

الجواب الثاني: أن المراد بالمسح على الرجلين الغسل الخفيف وهو الإسالة، لكن الغسل يكون خفيفا، والعرب تسمي

الغسل مسحا تقول العرب تمسحت للصلاة المراد الغسل الخفيف، واستدلوا أيضا بقراءة النصب وأرجلَكم وأنه نص في غسل الرجلين.

○ قوله: **(والجهاد ماضٍ مع كل بر وفاجر)** فعقيدة أهل السنة والجماعة أن الجهاد ماضٍ مع الأئمة أبراراً كانوا أو فجاراً، كما جاءت بذلك الأحاديث، وأنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، وأن ولي الأمر يدين الناس له بالولاية ولو كان فاسقاً ولو كان جائراً، ويقيم الحج للناس والجهاد، فالجهاد ماضٍ والحج ماضٍ مع الإمام براً كان أو فاجراً، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافاً لأهل البدع من الخوارج الذين يرون أن الإمام الجائر والفاسق يجب قتله وخلعه لكفره وضلاله لأنه كافر مخلد في النار، والمعتزلة يرون أنه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر فهو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وفي الآخرة مخلدٌ في النار، ومن أصول المعتزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستتروا تحت هذا الأصل للخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، وكذلك الرافضة الذين يرون أن الإمامة لا تكون إلا للإمام المعصوم، والأئمة المعصومين هم الأئمة الإثنى عشر وعلى هذا فالرافضة والمعتزلة والخوارج لا يرون الجهاد ولا الحج مع ولي الأمر الفاجر، وأهل السنة والجماعة يخالفونهم في هذا، والنصوص صريحة في أن الجهاد ماضٍ مع الأئمة أبراراً كانوا أو فجاراً، ولهذا قرر الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اعتقاده ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة وما قرره أهل السنة من أن الجهاد ماضٍ مع كل بر وفاجر من الأئمة.

▪ مسألة: **إذا منع ولي الأمر الجهاد؟**

• **الجواب**: ليس هناك جهاد إلا إذا أمر ولي الأمر؛ لأنه هو الذي يعقد اللواء وهو الذي يعقد الجيوش فلا يوجد جهاد إلا برأيه

ولا حرب إلا بقيادة منه.

توجيه لمن يريد الذهاب للجهاد:

أولاً: لا يجوز للإنسان أن يذهب للجهاد، بل لابد من راية قائمة بالجهاد.

ثانياً: لابد من استئذان الوالدين.

فالجهاد إذا كان في البلد بحيث داهم العدو البلد وجب على الإنسان أن يجاهد في البلد الذي وجد أمامه العدو، لكن إذا كان في بلد آخر فلابد له من استئذان والديه، فقد جاء في الصحيحين أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ يريد الجهاد قال «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»[(١)].

ولابد من مشاورة الوالدين حتى في أي سفر.

ثالثا: لابد من التروي في الأمور والنظر وعدم السرعة والعجلة ومشاورة أهل العلم، وقد يظن بعض الناس أن في جهة ما جهادٌ وليس هو في الحقيقة بجهاد.

فلا بد من مشاورة أهل العلم والرجوع إليهم في أي شيء تريده ؛ لأنه قد تتصور الشيء وهو خلاف الواقع ومخالف للشرع، فبعض الشباب يقول أذهب للبلد الفلاني أجاهد، فنقول: هل هناك راية ؟ هل هناك إمام؟!

ثم أنت تجاهد من؟ فالكفرة إذا كانت لهم السيطرة، وإذا تجمع مجموعة أحرقوهم بالطائرات، فهل نفعت الإسلام والمسلمين؟!

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الجِهَادِ بِإِذْنِ الأَبَوَيْنِ، رقم (٣٠٠٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٤٩).

الجواب: بل قتلت نفسك، فلا يوجد تكافؤ، ولا جيش، ولا إمام، ولا قيادة، وإنما جرهم إلى هذا الجهل.

○ قوله: **(وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة)** أي: أن صلاة العيدين والجمعة تُصلى خلف الإمام ولو كان جائراً إلى يوم القيامة.

○ قوله: **(والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة)** يعني: أن البيع حلال على حكم الكتاب والسنة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥].

ووجه ذكر الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ البيع والشراء في معتقده وهي مسألة فرعية فقهية؛ أراد رَحِمَهُ اللهُ أنه يجب على الإنسان أن يعتقد أن البيع والشراء حلال كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، فمن أنكر حل البيع فإنه يكفر إذا قامت عليه الحجة؛ لأنه مكذب لله.

○ قوله: **(والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح)** يعني: وأعتقد مشروعية الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ؛ لأنهم إذا صلحوا صلحت الرعية، خلافاً لأهل البدع الذين لا يدعون للأئمة وإنما يرون الخروج عليهم ومنابذتهم وعدم الولاء لهم، فأهل السنة يوالونهم ويدعون لهم ولو كانوا فجاراً.

○ قوله: **(ولا يخرج عليهم بالسيف)** هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يخرج على الأئمة بالسيف ولو كانوا فجاراً؛ لأن الخروج على الأئمة بالسيف يترتب عليه مفاسد عظيمة أكثر من مفاسد فسقه وجوره، والنصوص جاءت بدرء المفاسد وتقليلها وجلب المصالح وتكميلها، فإذا وجدت مفسدتان لا يمكن درؤهما وتركهما فإنها ترتكب المفسدة الصغرى لدفع الكبرى، وإذا وجدت مصلحتان عظمى وصغرى فإنها تفعل المصلحة العظمى ولو فاتت

الصغرى، وهذه القاعدة دلت عليها النصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، **ومن ذلك**: الخروج على ولاة الأمور الجائرين، فهؤلاء الولاة الجائرون الظالمون ارتكبوا مفسدة وهي مفسدة الجور والظلم ولكن الخروج عليهم يترتب عليه مفسدة أكبر وهي مفسدة إراقة الدماء واختلال الأمن والفوضى والاضطراب وتربص الأعداء وتدخل الأعداء من دول الكفرة في أمور المسلمين، واختلال الأمن واختلال المعيشة والاقتصاد والزراعة والتجارة والتعليم إلى غير ذلك من المفاسد، والحروب الطاحنة التي تأتي على الأخضر واليابس والانقسامات وإغارة الصدور والعداوات، كل هذه المفاسد تترتب على الخروج على ولي الأمر وهي مفاسد عظيمة، أما مفسدة ظلمه وجوره فهذه مفسدة صغرى ترتكب، والنصيحة مبذولة لولاة الأمور من قبل أهل الحل والعقد فإن قبلوا فالحمد الله وإن لم يقبلوا فقد أدى الناس ما عليهم، ولا يجوز الخروج عليهم بالمعاصي.

○ قوله: **(والإيمان بعذاب القبر)** يعني: من العقيدة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وجاء في الحديث «**إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**»(١)، ودلت الأحاديث على أن الإنسان قد يعذب في قبر، مثل الكفرة وبعض العصاة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين قال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان، وَمَا يُعَذَّبَان فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ**

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابٌ، رقم (٢٤٦٠)، وقال «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٢/ ٨٦١٣)، وقال الهيثمي في المجمع: «فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبِ بْنِ سُوَيْدٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[(١)].

خلافاً لأهل البدع الذين أنكروا عذاب القبر من المعتزلة وغيرهم، فقالوا: العذاب للروح فقط، والجسد لا يُعذب ولا يُنعم.

○ قوله: **(والإيمان بالحوض والشفاعة)** يعني: أؤمن بحوض نبينا ﷺ في موقف القيامة، والأحاديث متواترة في إثبات الحوض، وهو حوض عظيم، طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، وكيزانه ـ أي: أواني الشرب ـ عدد نجوم السماء، وهو أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، وأطيب ريحا من المسك، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة ؛ كما قال النبي ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[(٢)].

وأنكر الحوضَ الخوارجُ والمعتزلةُ بسبب جهلهم وضلالهم، وكذلك الشفاعة كما تقدم.

○ قوله: **(وخروج الدجال حق)** في آخر الزمان ؛كما ثبت في الصحيحين[(٣)].

والدجال صيغة مبالغة من الدجل، وهو: كثير الدجل والكذب والتزوير، وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان يدعي الصلاح أولاً، ثم يدعي النبوة ثانياً، ثم يدعي الربوبية ثالثاً، ويقول للناس أنا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ، رقم (٢١٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، رقم (٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفَضَائِلِ، رقم (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ، رقم (٧١٣١)، ومسلم : كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣٧).

ربكم، وهو رجل أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية؛ كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»(١)، ويبتلي الله به تعالى الناس ويكون معه خوارق للعادات، منها: أنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويقطع رجلا نصفين ويمشي بينهما ويقول: قم، فيستوي قائماً ـ يحييه الله ابتلاء وامتحانا(٢) ـ، ويمكث في الأرض أربعين، «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**»(٣)، أربعون يوماً اليوم الأول طوله سنة لا تطلع الشمس ولا تغرب إلا بعد سنة، واليوم الثاني طوله شهر، واليوم الثالث طوله أسبوع، وسبع وثلاثين يوما كأيامنا، ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام(٤)، وجاء في الحديث الآخر أن الدجال إذا رأى عيسى عليه السلام: «**ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**»(٥)، فعقيدة أهل السنة والجماعة أن

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مَريَم: ١٦]، رقم (٣٤٣٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧١).

(٢) كما في الحديث: «**فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ** قوله: ، **فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ**» أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣٧).

(٤) كما جاء في الحديث: «**إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ**» أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣٧).

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٨٩٧).

خروج الدجال حق والدجال هو العلامة الثانية من علامات الساعة الكبرى فأولها خروج المهدي[١]، وهو رجل من سلالة فاطمة اسمه كاسم النبي ﷺ وكنيته محمد بن عبدالله المهدي يملأ الأرض عدلاً ويبايع له بين الركن والباب في الكعبة في وقت ليس فيه للناس إمام، وتحصل للناس الفتن في الشام في آخر الزمان، وتكثر الحروب بين المسلمين وبين النصارى، وتحصل حروب طاحنة من آخرها حرب فتح القسطنطينية، فإذا فتحت القسطنطينية «**إِذْ صَاحَ فِيهِم الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُم**»[٢] فيخرج الدجال في زمانه، ثم بعد ذلك ينزل عيسى بن مريم وهو العلامة الثالثة في وقت الدجال فيقتل الدجال، ثم بعد ذلك تخرج العلامة الرابعة وهي يأجوج ومأجوج، هذه أربع متوالية ومرتبة، المهدي ثم الدجال ثم عيسى ثم يأجوج ومأجوج، ثم تتابع أشراط الساعة، منها هدم الكعبة، ومنها نزع القرآن من الصدور ومن السطور، ومنها الدخان الذي يملأ مابين السماء والأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها، ومنها الدآبة، وآخرها «**نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَن، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، إلى أرض فلسطين، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا**»[٣] ومن تخلف أكلته، «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»[٤].

---

(١) كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ**» - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «**لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**» أخرجه أبوداود: كتاب الفتن والملاحم، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٨٩٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ الْآيَاتِ، رقم (٤٠٥٥).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٩٢٤)

❍ قوله: **(ومنكر ونكير حق)**: منكر ونكير هما ملكان؛ اسم أحدهما: منكر، والثاني: نكير، يفتنان الناس، فيسألان كل إنسان في قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه.

فحينما يوضع الإنسان في قبره ويتولى عنه أصحابه يسأل في الحال، فالنبي ﷺ قال لما دفن الميت قال: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**»[1]، وذلك بعد الدفن مباشرة، أما قول بعضهم بأن ذلك بعد سبعة أيام فلا أعلم له أصلا.

❍ قوله: **(والإيمان بهذا كله حق فمن ترك من هذا شيئاً فهو مخالف لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ)**، يعني: من لم يؤمن بشيء مما ذُكر فهو مخالف للكتاب والسنة ومخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.



(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، بَابُ الِاسْتِغْفَارِ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلْمَيِّتِ فِي وَقْتِ الِانْصِرَافِ، رقم (٣٢٢١).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ بمدينة السلام قال أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهري قال أنبأنا الحسن بن الحسين الفقيه قال حدثني الزبير بن عبدالواحد قال حدثني أبو بكر العطار الدينوري قال أنبأنا محمد بن راشد الأصبهاني قال سمعت أبا إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني يقول أنشدني الشافعي من قيله:

شهدت بأن الله لا شيء غيره ... وأشهد أن البعث حق وأخلص

وأن عرى الإيمان قول مبين ... وفعل زكي قد يزيد وينقص

وأن أبا بكر خليفة ربه ... وكان أبو حفص على الخير يحرص

وأشهد ربي أن عثمان فاضل ... وأن عليا فضله متخصص

أئمة قوم يهتدى بهداهم ... لحا الله من إياهم يتنقص

فما لغواة يشهدون سفاهة ... وما لسفيه لا يحيص ويحرص[(١)])

الشَّرْحُ

هذه الأبيات نقلها الجامع وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري الذي جمع عقيدة الإمام الشافعي، وهذه الأبيات كلها تتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة.

○ قوله: (شهدت بأن الله لاشيء غيره) يعني: لا شيء يُعبد بحق غير الله ﷻ، ولا يتطرق إلى الذهن أن الإمام يريد مثل

(١) أخرج هذه الأبيات البيهقي في المناقب (١/ ٤٤٠-٤٤١)، وابن عساكر في التاريخ (٥/ ٨١٠)، والسبكي في الطبقات (١/ ٢٩٦).

الاتحادية، أنه لا شيء إلا الله، أي: لا موجود إلا الله، فهذا لا يقبله الذهن؛ لأن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام حق، فهو من أئمة أهل السنة والجماعة، ولأن عقيدته صريحة في هذا، ولأن الأبيات كلها واضحة في هذا، فلا يتعلق متعلق من أهل الزيغ والضلال بقوله: لا شيء غيره، أن المعنى: لا موجود غيره، وأن الموجود واحد، بل معنى كلامه: أعترف وأقر بأنه لا شيء يستحق العبادة غير الله.

○ قوله: **(وأشهد أن البعث حق وأخلص)**، هذا فيه إثبات البعث وسبق وبينا أن من لم يثبت البعث كافر بنص القرآن قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وقد سبق سياق الآيات الثلاث في أمر الله نبيَّه ﷺ أن يقسم على البعث في ثلاث مواضع وأن من أنكر بعث الأجساد فهو كافر، والإيمان بالبعث أصل من أصول الإيمان واليوم الآخر، **(وأشهد أن البعث حق وأخلص)** يعني: وأخلص عملي لله.

○ قوله: **(وأن عرى الإيمان قول مبين وفعل زكي قد يزيد وينقص)** مراده أن الإيمان مكون من قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح يزيد وينقص.

○ قوله: **(وأن أبا بكر خليفة ربه)** يعني: أبو بكر الصديق خليفة الله، وهذه المسألة وهي أن فلان خليفة الله في الأرض مسألة مختلف فيها بين أهل العلم:

القول الأول: جواز أن يقال: فلان خليفة الله، واستدلوا بحديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي بِلَادِهِ**»[1].

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٩)، وابن عساكر (٥٠/ ٢٥٥).

القول الثاني: المنع، من ذلك قالوا: لأن الخليفة إنما يكون عمن يغيب ويخلفه غيره، والله شاهد غير غائب.

القول الثالث: التفصيل، كما ذكر ابن القيم رحمه الله فقال: إن أُريد أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا جائز، وإن أُريد أنه خليفة عن الله فهذا ممنوع(١).

ولعل هذا التفصيل هو الأولى.

○ قوله: **(وكان أبو حفص على الخير يحرص)**: أبو حفص هو عمر بن الخطاب يحرص على الخير.

○ قوله: **(وأشهد ربي أن عثمان فاضل وأن عليا فضله متخصص)**

فالمؤلف رحمه الله يُثبت الخلفاء الأربعة، خلافاً للرافضة الذين أنكروا خلافة الأئمة الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان، وقالوا: إنهم مغتَصِبون، وأن الصحابة كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وولّوا الخلافة زوراً وبهتاناً وظلماً أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، وأنهم أخفوا النصوص التي فيها النص على الأئمة الإثنى عشر وأن الخليفة بعد النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب، هذا قول الرافضة وهم بهذا كفار؛ لأنهم كذبوا الله، فإن الله تعالى زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، والحسنى هي: الجنة، ومن كذب الله كفر، ولأنهم كذبوا الله في حفظه للقرآن؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وهم يقولون إن القران غير مشهور وهو محرف، وأنه لم يبق منه إلا الثلث، وكذلك الرافضة يتوسلون بآل البيت ويعبدونهم وهذا شرك.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٢).

فالإمام الشافعي رحمه الله يبرأ من مذهب الرافضة ويثبت خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، ولهذا قال:

❍ قوله: **(أئمة قوم يُهتدى بهداهم)** يعني: الخلفاء الأربعة **(لحا الله من إياهم يتنقص)**، دعا على من تنقص الأئمة الخلفاء وهو دعاء على الرافضة لأنهم تنقصوا الخلفاء الثلاث.

❍ قوله: **(فما لغواة يشهدون سفاهة)** يعني: إنكار على هؤلاء الغواة الذين يشهدون شهادة تخالف الحق.

❍ قوله: **(وما لسفيه لا يحيص ويحرص)** الحيَص معناه: الميل في الجور يقال: حاص عن الحق إذا جار فالمعنى: يميل عن قولهم، ويحتمل أن الأصل **(وما لسفيه يحيص ويحرص)**، يعني: إنكار على السفيه الذي يجور ويميل عن الحق ويحرص على الباطل.





نص الإمام الشافعي رضي الله عنه في صفات الله تعالى

قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن محمد الخلال الحافظ ببغداد قال حدثني أبي رحمه الله قال أنبأنا محمد بن العباس المخلص قال أنبأنا أبو بكر ابن أبي داوود قال أنبأنا الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفة من صفات الله عز وجل فقال حرام على العقول أن تمثل الله عز وجل وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه السلام).

الشرح

هذا السند نقله الجامع رحمه الله في بيان عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله في إثبات الصفات لله عز وجل، وأنه أثبت الصفات التي وردت في الكتاب والسنة ولهذا قال في آخر النقل: **(إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم)** يعني: يجب إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يثبت الصفات التي دلت عليها النصوص من الكتاب والسنة، فهذا الربيع بن سليمان يقول: **(سألت الشافعي عن صفة من صفات الله فقال حرام على العقول أن تمثل الله عز وجل)** يعني: لا يجوز للإنسان أن يمثل الله بخلقه أو يمثل صفة من صفات الله بخلقه كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[البَقَرَة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النّحل: ٧٤]، فلا يجوز أن يمثل صفة الله بصفة خلقه، ولهذا قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(حرام على العقول أن تمثل الله ﷻ وعلى الأوهام أن تحده)** والأوهام جمع وهم، وهي خطرة القلب، يعني: يحرم أن يُحد الله وأن يذكر له حد من أجل خطرات تخطر بالقلب.

والأسماء والصفات توقيفية لا يُثْبت لله شيئا من الأسماء أو من الصفات إلا ما ورد في الكتاب والسنة، أما الخطرات والأوهام التي تخطر في القلوب فلا يُعول عليها، كأن يخطر في قلبه أن الله على كذا أو على صفة كذا، فهذا لا يجوز أن يعتمد عليها، فكما أن الله لا يُمثل بخلقه، فكذلك لا تحده خطرات القلوب والأوهام التي يتوهمها ويخطر بقلبه أن الله على صفة كذا وعلى صفة كذا فكل هذا ممنوع.

- قوله: **(وعلى الظنون أن تقطع)** كذلك الظنون يحرم أن يُعتمد عليها بأن المعنى في صفات الله كذا وكذا.

- قوله: **(وعلى النفوس أن تفكر)**، أي: تفكر النفوس في صفات الله ويعتمد على هذا التفكير وأن صفات الله كذا وكذا.

- قوله: **(وعلى الضمائر أن تعمق)** والضمائر جمع ضمير وهو ما يخفيه الإنسان في نفسه ثم يعتمد عليه، فالضمير الذي يخفيه بأن صفة الله كذا وكذا، فيتعمق و يكيِّف الصفات.

- قوله: **(وعلى الخواطر أن تحيط)** يعني: خطرات القلب لا تحيط بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله تعالى لا يحيط به أحد من خلقه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

- قوله: **(وعلى العقول أن تعقل)**، أي: تتصور شيء يخالف ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال أخبرنا الشيخ أبو يعلى الخليل بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد القزويني الحافظ قال أنبأنا القاضي أبو سعد القاسم بن علقمة الأبهري قال أنبأنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي قال أنبأنا يونس بن عبدالأعلى المقرئ قال سمعت أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول وقد سُئِلَ عن صفات الله عَزَّ وَجَلَّ وما يؤمن به فقال لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته، لا يسع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل به وصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القول به فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر.

ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا، أنه سميع بصير، وأن له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له يمينا بقوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وأن له وجهاً بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له قدماً بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠]، رقم (٤٨٤٩).

يعني: جهنم، وأنه يضحك من عبده المؤمن بقوله: عليه السلام للذي قُتل في سبيل الله إنه لقي الله وهو يضحك إليه[(١)].

وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا لخبر رسول الله ﷺ بذلك وأنه ليس بأعور لقول رسول الله ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور[(٢)].

وإن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر[(٣)]، وأن له أصبعاً بقول النبي ﷺ: ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ[(٤)].

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والروية ولا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ ونثبت هذه الصفات

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، برقم (٢٨٢٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، برقم (١٨٩٠)، قال ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ [نوح: ١]، رقم (٣٣٣٧)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣١)، قال ﷺ: «**وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٤)، قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ** ﷻ **كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» وفي لفظ: «**كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم (٢٥٥٤).

(٤) كما في الحديث: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» أخرجه مسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٤).

وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]).

الشَّرْح

هذا النص في بيان اعتقاد الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفات الله وأسمائه، فالإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عقيدة أهل السنة والجماعة يثبت الأسماء والصفات التي جاءت في الكتاب والسنة، يقول: إن من بلغته هذه النصوص فلا يسعه أن يردها؛ لأنه حينما تبلغه قامت عليه الحجة؛ فإن القرآن نزل بها، وصح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القول بها برواية العدل الثقة، **(فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر)**، يعني: من يجحد صفة من صفات الله بعد بلوغ الحجة وبعد بلوغ النص بعد معرفته أن الله أخبر بها عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا يكون كافرا، لأن من جحد صفة من صفات الله فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ [الرّعد: ٣٠]، وهذا بخلاف المتأول، فالمتأول يدرأ عنه التكفير، فالشخص الذي يثبت الصفة أو يثبت الاسم، لكن يتأوله لأجل شبهة عرضت له لا يكفر، كما لو أثبت الاستواء، فقال: أنا أثبت استواء الرحمن على العرش للنص، إلا أنه يقول: معنى استوى: استولى؛ لأنه لا يليق بالله الاستواء؛ إذ يلزم منه التحيز والجسمية، لشبهة عرضت له، فهذا لا يكفر، بخلاف من أنكر صفة الاستواء، وقال: أنكر أن الله استوى على العرش، فهذا كافر لكونه جحد، فالجاحد كافر والمتأول لا يكفر؛ لذلك بين الإمام أنه إن خالف بعد ثبوت الحجة عليه وأنكر الصفة فإنه يكفر لقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ [الرّعد: ٣٠]، ففرق بين الجاحد والمتأول؛ فالجاحد الذي يجحد الصفة ويجحد الاسم فهذا يكفر؛

لأنه كذب الله، وأما المتأول فغير جاحد، لذا قال الإمام ﵀: **(وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل)** أي: إذا لم يبلغه النص؛ ولا علم فأنكر فهو معذور بالجهل؛ لأن من شروط التكليف العلم **(وعلم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر)** وإنما هو مأخوذ من الكتاب والسنة وهذا لم يعلم فيكون معذوراً، لكن إذا بلغه النص وجحده وأنكره كفر، فإن قبله وتأوله فهو مبتدع، **فشرطا تكفير المعين:**

١ ـ قيام الحجة.

٢ ـ وألا يكون متأولا.

وتنزيل الأحكام بالكفر إنما هو لأهل العلم، لا لأهل الجهل والعوام.

فلابد أن ينتفي المانع وهو: الجهل، والتأويل، وسبق اللسان.

○ قوله: **(ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير)** فنثبت أن الله سميع ونثبت أن الله بصير، وهكذا كل اسم من أسماء الله مشتمل على الصفة؛ لأن أسماء الله مشتقة، فاسم الله السميع مشتمل على صفة السمع، والبصير مشتمل على صفة البصر.

○ قوله: **(وأن له يدين)** يعني: يثبت لله يدين **(بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له يميناً، بقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧])** **وهل كلا يدي الله يمين؟**

• **الجواب:** جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[1]، يعني: يمين في البركة والشرف والفضل وعدم

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٢٧).

النقص، وإلا فله اليمين والشمال على الصحيح؛ لما جاء في صحيح مسلم أيضا: «**يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»(١)، وبعض أهل العلم طعن في رواية مسلم هذه وقال: تفرد بها بعض الرواة فلا تثبت، والصواب أن له يميناً وشمالاً سبحانه وتعالى، ولكن كلتا يديه يمين يعنى في الشرف والفضل وعدم النقص والبركة بخلاف المخلوق فإنه غالباً الشمال فيها نقص، أما الرب سبحانه وتعالى فيمينه ليس فيها نقص، ويده الشمال ليس فيها نقص ولكنها يمين في الفضل والشرف والبركة وعدم النقص.

■ **مسألة: قول الله ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** [الفَتْح: ١٠] **هل المراد بذلك أن الله مؤيدٌ لهم؟ أو المراد أن يد الله فوق أيديهم عند المبايعة ـ أي أن هذا المعنى مجازي ـ؟**

● **الجواب:** أن المعنى حقيقي، ففيه: إثبات الفوقية والعلوية لله، وأن الله فوق العرش وفوق جميع المخلوقات، ليس في هذا مجاز،والمجاز باطل.

وفيه أيضا: إثبات اليد لله ﷻ.

❍ قوله: **(وأن له وجها)** فتثبت صفة الوجه لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧].

❍ قوله: **(وأن له قدماً)** فتثبت القدم لله؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا**

(١) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٨).

تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»[(١)]، وهذا ثابت في الصحيحين.

○ قوله: **(وأنه يضحك من عبده المؤمن بقوله: عليه السلام للذي قُتل في سبيل الله أنه لقي الله وهو يضحك إليه)** هذا ثابت في الصحيحين في قول النبي ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

○ قوله: **(وأنه يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا لخبر رسول الله ﷺ بذلك)** فهذا فيه إثبات النزول كما قال ﷺ «**إِنَّ اللهَ يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»[(٣)].

○ قوله: **(وأنه ليس بأعور لقول رسول الله ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور)** «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»[(٤)]، يعني: أنه يثبت لله عينان سليمتان من حديث الدجال، فهو دليل على إثبات العينين لله وأن له عينان سليمتان والدجال أعور ليس له إلا عين واحدة، والله ليس بأعور فهذا فيه إثبات العينين لله ﷻ، والأحاديث في هذا جاءت في الصحيحين وفي غيرهما.

○ قوله: **(وإن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر**

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤]، رقم (٧٣٨٤)، ومسلم واللفظ له: كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم (٢٨٤٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٨٠/ ٧٤١)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (١/ ١٧٠/ ٨٢)، والذهبي في العلو (١/ ١٥٣/ ٤١٣).

(٤) سبق تخريجه.

ليلة البدر)، وهذا ثابت في الصحيحين وفي غيرهما، وثابت في الآيات الكريمات، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال عن الكفرة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [المطففين: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝﴾ [ق: ٣٥] وهو النظر إلى وجه الله الكريم، وفي الحديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[(١)]، وفي لفظ: «**كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[(٢)]، وفي لفظ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ**»[(٣)]، والأحاديث في هذا متواترة والآيات صريحة في إثبات الرؤيا، وأنكر الرؤيا أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

○ قوله: **(وأن له إصبعاً لقول النبي ﷺ: ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ)** «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»[(٤)]، يعني: فيه إثبات الإصبع لله.

وقد ثبت في الصحيحين إثبات خمس أصابع لله، كما في الصحيحين: «**إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ؟...**»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾، رقم (٧٤٥١)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

❁ **تنبيه:**

لا يُشار بالإصبع عند قوله ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**».

○ قوله: **(فإن هذه المعاني يعني: الصفات التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ فيما لا يدرك حقيقة ذلك في الفكر والروية)**، أي: لا يدرك الإنسانُ حقيقةَ صفات الله بفكره ولا بعقله ولا برويته ولا بظنونه ولا بخواطره وأوهامه، إنما حقيقة ذلك إلى الله ﷻ، فلا يعلم حقيقة الصفات إلا الله ﷻ، ولكن المعاني معروفة، كما قال الإمام مالك رحمه الله: «**الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعَةٌ**»[1]، فهذا يقال في جميع الصفات؛ لأن العلماء تلقوا هذه المقالة عن الإمام مالك بالقبول، فكل صفة من صفات الله معناها معلوم، فالعلم ضد الجهل، والاستواء هو الاستقرار والصعود والعلو والارتفاع، لكن كيفية علم الله وكيفية استوائه لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى.

■ **مسألة:** الفرق بين التفويض وعدم التكييف لصفات الله، هو أن المراد بالتفويض: تفويض الصفات إلى الله بلا علم بالمعنى ولا بالكيفية، كأنها عند المفوض حروف أعجمية، وهذا باطل.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون المعنى؛ فالاستواء مثلا معلوم، فنعرف أن الاستواء: الاستقرار والعلو والصعود والارتفاع، ونعرف أن العلم ضد الجهل، وأن السماء ضد الأرض، وأن العمى

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١/ ٦٦/ ١٠٤)، واللالكائي في السنة (٣/ ٤٤٠/ ٦٦٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥/ ٨٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦)، وجود إسناده الحافظ في الفتح.

ضد البصر، أما الكيفية فلا يعلمها إلا الله.

○ قوله: **(ولا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها)** أي: لا نكفر من أنكر شيئا من ذلك جاهلاً لم يبلغه النص؛ لأن من شروط التكليف العلم **(إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها)**، أي: إذا انتهى إليه الخبر وبلغه الخبر ثم جحد وأصر فإنه يكفر لجحوده، وإن تأول فلا يكفر ولكنه زائغ ضال مبتدع.

■ **مسألة:** الذي يترتب على إنكار صفة من صفات الله الثابتة: أنه إذا جحد صفة من صفات الله كفر، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرّعد: ٣٠]، فإذا جحد اسماً من أسماء الله أو صفة من صفاته، وهو يعلم ذلك عن عمد فإنه يكفر، لكن من تأول هذا فإنه لا يكفر، مثال ذلك: شخصان أحدهما أنكر أن الرحمن على العرش استوى فهذا كافر، أما الآخر ما أنكر ولكن قال: الرحمن على العرش استوى، على الرأس والعين فهذه آية من كتاب الله لكن استوى يعني: استولى، لأن الاستواء لا يكون لله، فهذا لا يكفر لأنه متأول،، وفرق بين الذي يتأول وبين الذي يجحد بدون تأويل.

○ قوله: **(وإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم بالفهم مقام المشاهدة للسماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ)** أي: إذا ورد الخبر على الإنسان وفهمه فهماً سليماً، وجب أن يدين لله بإثبات الصفة على ما يليق بجلالة الله وعظمته، والشهادة لله بذلك إذا عاين ذلك وسمع من رسول الله ﷺ.

○ قوله: **(ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ**

ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١]) المعنى أن نثبت الأسماء والصفات لله ولكن ننفي المماثلة، فلا يماثله أحد من خلقه؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١] وغيرها من النصوص.



باب نص مذهبه في أسماء الله وصفاته

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أحمد بن مهدي بن سليمان المقرئ قال: أنبأنا أبو نصر عبدالوهاب بن عبدالله المري قال: أنبأنا أبو القاسم الميانجي القاضي بدمشق قال: أنبأنا أبو بكر جعفر بن محمد النيسابوري بالرقة، قال سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته غير مخلوقة[(١)]).

الشَّرْح

هذا النص بالسند المذكور إلى الربيع بن سليمان أنه سمع الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: **(أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته غير مخلوقة)**؛ لأن الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه هو الخالق وغيره المخلوق؛ كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، فالله هو الخالق بذاته وأسمائه وصفاته، ولا يقال إن الذات مجردة عن الأسماء والصفات لأنه لا وجود للذات إلا بالأسماء والصفات، فالذات المجردة عن الأسماء والصفات لا وجود لها إلا في الذهن، ولهذا فإن أسماء الله وصفاته داخلة في مسمى اسمه، فهو الخالق لذاته بأسمائه وصفاته فمن قال إن أسماء الله وصفاته مخلوقة فهو كافر.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٩٣)، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٣).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وأخبرنا ابن مهدي قال أنبأنا أبو نصر المري قال أنبأنا القاضي يوسف بن القاسم الميانجي قال أنبأنا أبو بكر الحميدي المعدل قال أنبأنا الربيع بن سليمان قال قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حلف بالله أو باسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله فلا كفارة عليه وجب أن تكون معصية، ومن حلف بالكعبة أو بشيء مخلوق فلا حنث عليه).

الشَّرْحُ

هذا النص منقول بالسند وهو أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال **(من حلف بالله أو باسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ فحنث فعليه كفارة)**، الحلف يكون بالله أو بأسمائه أو صفاته، مثل: لا وعزة الله، ومنه قول الرجل الذي هو آخر أهل النار خروجا منها «**لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ**»[1]، وقال الله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [صٓ: ٨٢]، فأقسم بصفة من صفات الله، فالحلف يكون بالله وأسمائه وصفاته، فإذا حلف باسم من أسماء الله أو صفة من صفات الله ثم حنث فعليه كفارة، ومعنى حنث يعني: لم ينفذ ما حلف عليه، فخالف مقتضى الحلف، فقال والله أو عزة الله لا أكلم فلان ثم كلمه، هذا يسمى حنث وعليه كفارة، والكفارة كما بينها الله في

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ، رقم (٨٠٦)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٨٢).

سورة المائدة فقال: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٨٩].

○ قوله: **(ومن حلف بشيء غير الله فلا كفارة عليه ووجب أن تكون معصية)** أي: إذا حلف بالنبي ﷺ أو بالكعبة أو بحياته أو بلحيته أو بشرفه فهذه معصية، وليس عليه كفارة لأنه عاصي، وهذا في أحد الأقوال، وذهب آخرون من أهل العلم بأن عليه كفارة ولو كان عاصياً، لما جاء في الحديث عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَنِ الرَّجُلِ يَقُولُ: هُوَ يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ، أَوْ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي الْيَمِينِ يَحْلِفُ عَلَيْهِ فَيَحْنَثُ؟ قَالَ: «**كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»(١)، والحديث فيه ضعف وقال به بعض أهل العلم، لكن الإمام الشافعي يرى أنه ليس على من حلف بالنبي ﷺ كفارة.

○ قوله: **(ومن حلف بالكعبة أو بشيء من مخلوق فلا حنث عليه)** يعني: فلا يحنث لأنها لا تنعقد يمينه لأنها يمين باطلة حيث أنه حلف بالكعبة أو بالمخلوق، إنما تنعقد اليمين إذا كانت بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته وسبق في القول الثاني أن عليه كفارة، **وما حكم الحلف بغير الله؟**

• **الجواب:** الحلف بغير الله شرك، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(٢)، ولكنه شرك أصغر؛

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٨٣٨) وقال: تَفَرَّدَ بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْحَرَّانِيُّ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، ضَعَّفَهُ الْأَئِمَّةُ وَتَرَكُوهُ.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ، رقم (٣٢٥١)، والترمذي واللفظ له: كتاب النذور والأيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، رقم (١٥٣٥) وقال حديث حسن.

إلا إذا اعتقد أن المحلوف ينبغي أن يعظم كتعظيم الله، وأنه يستحق شيء من العبادة فيكون شركاً أكبر.

▪ **مسألة: ما حكم الحلف بآيات الله مثل أن يقول أقسمت بآيات الله؟**

• **الجواب:** لابد أن نقيده بآيات الله القرآنية لأن آيات الله نوعان:

النوع الأول: آيات كونية، كالشمس والقمر والليل والنهار والسماوات والأرض من أجل أنها مخلوقة فلا يجوز الحلف بها.

النوع الثاني: آيات قرآنية، وهي آيات القرآن، فهذه صفة من صفات الله فإذا حلف بآيات الله القرآنية فإنه لا بأس.

تنبيه:

شاع بين طلاب المدارس قولهم: قسما بآيات الله، فينبغي أن يكون قسماً بآيات الله القرآنية، فيقيدها حتى لا يدخل في ذلك آيات الله الكونية.



باب نص مذهب الشافعي رحمه الله في القرآن

قال المصنف رحمه الله:

(قال أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر القزويني الشيخ الصالح رحمه الله قال أنبأنا يوسف بن عمر أبو الفتح القواس الزاهد ببغداد قال أنبأنا أبو الحسين بن حبيش قال أنبأنا الحسين بن علي الجصاص قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول «القرآن كلام الله غير مخلوق»[1]).

الشرح

هذا النص منقول بالسند أيضا في بيان مذهب الإمام الشافعي في القرآن، كما أن النص السابق في بيان مذهب الإمام الشافعي في أسماء الله وصفاته، وهذا النص في بيان مذهب الإمام الشافعي في القرآن، يقول **(القرآن كلام الله غير مخلوق)** وسبق أن هذا قول أهل السنة والجماعة، وأن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر على العموم، أما الشخص المعين فلا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة ووجدت الشروط وانتفت الموانع.

وسبق أن المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، فكلام الله ولفظه ومعناه مخلوق.

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٨/ ١٧٦)، واللالكائي في السنة (٢/ ٢٥٢/ ٤١٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٦١٢).

وأما الأشاعرة فيقولون: القرآن كلام الله وهو المعنى النفسي، أما الحروف والأصوات فهي مخلوقة وليست من كلام الله، وقولهم هذا هو نفس مذهب المعتزلة.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال أخبرنا أبو طاهر محمد بن نصر بن الغرابيلي الشيخ الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبدالله بن حماد قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري قال أنبأنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصاص قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول «القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر»).



هذا النص صريح في تكفير من قال: القرآن مخلوق، وهو قول الأئمة قاطبة.

والمراد: التكفير على العموم، أما الشخص المعين فلابد من وجود الشروط وانتفاء الموانع.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو نصر أحمد بن خضر الفارقي وأبو الحسن علي بن الحسين العكبري قالا أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الفقيه الطبري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال أنبأنا الحسين بن أحمد الطبري قال سمعت أحمد بن يوسف الشالنجي يقول سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي).

الشَّرْحُ

هذا نص الإمام الشافعي فيه بيان حكم ما تكلم به أهل البدع في مسألة اللفظ، فقد قال بعضهم لفظي بالقرآن مخلوق لأنه صفة من صفاتي، وأما القرآن فليس بمخلوق، وقد حكم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بأن هذا القول قول الجهمية، الذين يقولون القرآن مخلوق لفظه ومعناه، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي أيضا ولو زعم أن الملفوظ وهو كلام الله ليس بمخلوق؛ لأن اللفظ قد يراد به الملفوظ، وثبت عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «**مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ**»[1]، فسد الباب من الجهتين، من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي؛ لأن اللفظ قد يراد به الملفوظ وهو القرآن فيكون

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (٢/ ٣٩٢/ ٦٠٢).

جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع لأن هذا مخالف لقول السلف، فلا تقول لفظي بالقرآن مخلوق، ولا تقول غير مخلوق، بل تقول القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكونك تخص اللفظ لا وجه له، مثل من قال: السبع الطوال من القرآن غير مخلوقة فهذا بدعة، فيقولون: كلها غير مخلوقة، فلا تخصص السبع الطوال، فهذا مخالف لقول السلف، فكذلك من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فالإنسان مخلوق ذاته وصفاته، فلا تخصص اللفظ، لأن هذا مخالف لقول السلف.

▪ مسألة: **هل يجوز أن يقال: إن الذي يتلو القرآن يحكي كلام الله أو يعبر عنه؟**

• الجواب: الذي يتلو القرآن يتلو كلام الله، خلاف قول الأشاعرة الذين يقولون: القرآن عبارة عن كلام الله؛ لأن القرآن عندهم ليس لفظاً ولا حروفاً ولا أصوات، إنما هو معنى قائم بالنفس، لا يُسمع كالعلم، ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال:

فقالت طائفة: إن الله ﷻ اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر عنه، فالقرآن عبارة عبر بها جبريل.

وقال آخرون إنه العبارة التي عبر بها محمد.

وقالت طائفة أيضا منهم: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ والله لم يتكلم بكلمة، وكلها أقوال باطلة، حيث جعلوا الله أبكم لا يتكلم ـ نعوذ بالله ـ، وقالوا: المصحف ما يحترم ولا يعظم لأن ما فيه ليس كلام الله، بل كلام الله قائم بالنفس.

▪ **مسألة: ما الفرق بين القرآن والمصحف؟**

• **الجواب:** القرآن كلام الله، والمصحف فيه: كلام الله، وفيه: خط فلان وفيه: الورق، وفيه: المداد، وفيه: الجلد.

▪ **مسألة: هل يجوز الحلف بالمصحف؟**

• **الجواب:** لا يجوز الحلف بالمصحف؛ لأن المصحف فيه كلام الله وفيه غير ذلك ـ كما تقدم ـ.



باب نص مذهب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإيمان

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قال أخبرنا أبو نصر أحمد بن مهدي قال أنبأنا أبو نصر المري قال أنبأنا يوسف بن القاسم الميانجي قال أنبأنا يوسف بن عبدالأحد الرعيني قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبإسناده قال، قال الشافعي قـــــال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧] فعلمنا أنهم خير البرية بالإيمان وعمل الصالحات).

الشَّرْح

هذا النص في بيان مذهب الإمام الشافعي في الإيمان، وأن الإمام الشافعي يعتقد كما يعتقد أهل السنة والجماعة وهو ما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الإيمان: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، فالإيمان مكون من أربعة أشياء: قول القلب وهو (التصديق)، وإقرار باللسان، وعمل بالقلب وهو النية والإخلاص والمحبة، وعمل بالجوارح، فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا هو الذي دلت عليه النصوص؛ كما قال النبي ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ**»[١] وفي رواية: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَان**»[٢]

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٣٥).

ولمسلم وأبي داود: «**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»(١)، قول لا إله إلا الله باللسان والحياء بالقلب، وإماطة الأذى عمل بدني ولهذا الإمام الشافعي قرر ما قاله السلف.

○ قوله: **(الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبإسناده قال، قال الله تعالى: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البيّنة: ٧])**، بين الشافعي رحمه الله وجه الدلالة من هذه الآية فقال: **(فعلمنا أنه خير البرية بالإيمان وعمل الصالحات)** بالإيمان والعمل، وقصد بذلك: الرد على المرجئة الذين يقولون: الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم خير البرية بأمرين: بالإيمان والأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البيّنة: ٧].



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٣٥)، وأبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ، رقم (٤٦٧٦).



قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا ابن مهدي قال أنبأنا أبو نصر المري قال أنبأنا القاضي يوسف قال أنبأنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي قال أنبأنا المزني قال، قال الشافعي: نقول عند ابتداء الطواف والاستلام بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعا لسنة نبيك ﷺ).

الشَّرْح

هذا النص فيه بيان معتقد الإمام الشافعي وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان حيث قال: **(اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعا لسنة نبيك ﷺ)**[1]، وهذا كله داخل في مسمى الإيمان، من التصديق والوفاء، والعمل واتباع السنة، كل هذا داخل في مسمى الإيمان.

وهذا الحديث مرويٌّ ببتدأ الطواف.



---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف رقم(٨٨٩٨)، والطبراني في الدعاء، رقم(٨٦٠)، وفي الأوسط، رقم (٤٩٢)، والبيهقي في السنن الصغرى، رقم (١٦١٣)، وقال الهيثمي في المجمع «وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ» (٣/ ٢٤٠/ ٥٤٧٠)، وقال البوصيري في إتحاف المهرة: «وَمَدَارُ الْإِسْنَادِ عَلَى الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ وَهُوَ ضَعِيفٌ» (٣/ ١٨٩). أي: مداره عن علي، وقد روي عن ابن عباس وابن عمر وكليهما ضعيف انظر: السلسلة الضعيفة (١٠٤٩).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن محمد الخلال قال أنبأنا أبي قال أنبأنا محمد بن حسن السروي قال أنبأنا عبدالرحمن ابن أبي حاتم الرازي قال أنبأنا أبي قال أنبأنا عبدالملك بن عبدالحميد الميموني قال حدثني أبو عثمان محمد بن محمد الشافعي قال سمعت أبي محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول للحميدي ما يُحتج عليهم يعني: أهل الإرجاء بآية أحج عليهم من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥]).

الشَّرْحُ

هذا النص عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فيه: الرد على المرجئة الذين لا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان، وسُمُّوا المرجئة من الإرجاء والتأخير، وتقدم بيان أن المرجئة أربع طوائف:

الطائفة الأولى: الجهمية الذين يقولون إن الإيمان مجرد معرفة الرب في القلب والكفر هو جهل للرب في القلب، وهذا أفسد تعريف على وجه الأرض في تعريف الإيمان، وقد ألزمهم العلماء بأن إبليس مؤمن على هذا التعريف وفرعون مؤمن واليهود مؤمنون وأبو طالب مؤمن والكفرة كلهم مؤمنون لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم.

الطائفة الثانية: الكرامية، الذين يقولون الإيمان هو مجرد النطق باللسان.

الطائفة الثالثة: الماتوريدية والأشاعرة، وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة الذين يقولون الإيمان هو تصديق بالقلب.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء، الذين يقولون: الإيمان شيئان قول اللسان وتصديق القلب.

وأهل السنة والجماعة انفصلوا عن هذه الطوائف الأربع فقالوا الإيمان مكون من **أربعة أشياء** وهي:

١ ـ تصديق بالقلب

٢ ـ إقرار باللسان

٣ ـ عمل بالقلب

٤ ـ عمل بالجوارح

فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يرد على أهل الإرجاء ويحتج عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، ووجه الرد أن الله تعالى سمى ذلك ديناً، فقال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ وهذا يرجع إلى إخلاص العبادة لله، في إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإخلاص الدين عمل قلبي، والصلاة والزكاة من أعمال الجوارح وسماها دين، ومسمى الدين هو مسمى الإيمان، فالدين إذا أطلق فهو الإيمان وهو الإسلام وهو الهدى وهو البر، فهذه الآية من أقوى الأدلة للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على المرجئة.

۞ فرع:

الإمام أبو حنيفة عنه روايتان في حقيقة الإيمان:

الرواية الأولى: أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، والأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان وهذا الذي عليه كثير من أصحابه.

الرواية الثانية: أن الإيمان مجرد تصديق القلب أما إقرار اللسان فليس من الإيمان، ولكنه ركن زائد عن الإيمان، وهذا مذهب الماتوريدية، ومعروف أن أول من قال بالإرجاء حماد بن أبي سليمان[(١)]، والإمام أبو حنيفة تلميذ له، ويقول بمقالته: (أن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان)، ولكنهم طائفة من أهل السنة، وخلافهم مع جمهور أهل السنة في اللفظ فقط وإن كان له آثار[(٢)]، فالجمهور يقولون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأبو حنيفة يقول ليست داخلة في مسمى الإيمان لكن يتفقون على أن الأعمال مطلوبة، والواجبات واجبات والمحرمات محرمات ومن فعل الواجبات أثابه الله، وهو ممدوح، ومن فعل المحرمات معرض للعقوبة، ويقام عليه الحد إذا كان عليه حد وهو مذموم، لكن الكلام في التسمية؛ هل تسمى إيمان أو لا تسمى إيمان؟ فهم لا يسمونها إيمان بل يسمونها: واجب وتقوى وبر وهدى.

لكن المصيبة هم المرجئة المحضة الذين يقولون: الأعمال غير مطلوبة؛ فهذا هو البلاء.



(١) حماد بن أبي سليمان الفقيه الكوفي، أبو إسماعيل بن مسلم، أحد الأعلام، أصلهُ من أصبهان. روى عن أنس، وابن المسيب، وزيد بن وهب، وأبي وائل، والشعبي، وطبقتهم، وتفقه بإبراهيم النخعي، وكان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة وتجمل، روى عنه: تلميذه؛ الإمام أبو حنيفة، قال شعبة: كان حماد صدوق اللِّسَانِ، وقال النسائي: ثقة، إلا أنه مرجئ، توفي حماد سنة عشرين ومائة، ويقال: سنة تسع عشرة.
انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣١).

(٢) انظر ما سيأتي (١٧٨-١٧٩).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وأخبرنا الخلال قال أنبأنا أبي قال أنبأنا عمر بن أحمد الوراق قال أنبأنا أحمد بن محمد الآدمي قال أنبأنا الفضل بن زياد قال قلت للشافعي رضي الله عنه: «كيف نصنع بأهل الأهواء نكلمهم؟ قال: أما الجهمية فلا تكلمهم قيل له فالمرجئة؟ قال: هؤلاء أسهل إلا المخاصم منهم فلا تكلمه قيل فينبغي ألا يكلم أحدٌ أحداً؟ قال: نعم إذا عرفت من أحد نفاقاً فلا تكلمه لأن النبي ﷺ خاف على الذين خُلفوا النفاق فأمر الناس ألا يكلموهم»).

الشَّرح

هذا النص عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فيه هجر أهل البدع ومنهم المرجئة، قد سئل الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ كيف نصنع بأهل الأهواء وهم أهل البدع؟ فقال الإمام: (أما الجهمية فلا تكلمهم) لكفرهم وضلالهم؛ فإن الجهمية الذين أنكروا أسماء الله وصفاته كفرهم خمس مائة عالم كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ في البُلْدَان

واللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ ... بَلْ قد حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي[1]

خمسين في عشر: خمسمائة.

ومن العلماء من كفر الغلاة دون العامة.

(١) انظر: نونية ابن القيم (١/ ٤٢).

○ قوله: **(قيل له فالمرجئة؟ قال: هؤلاء أسهل)** يعني: أسهل من الجهمية **(إلا المخاصم منهم فلا تكلمهم)** أي: الذي يجادل، أما المتستر الذي لا يخاصم ولا يظهر مذهبه فهذا أسهل، أما المجادل والمخاصم والذي يظهر مذهبه ويدعو إليه ويناظر عليه فهذا يُهجر، **(قيل فينبغي ألا يكلم أحدٌ أحداً؟ قال: نعم إذا عرفت من أحدٍ نفاقاً فلا تكلمه)** أي: إذا عرفت أنه منافق فلا تكلمه واهجره، واستدل بأن النبي ﷺ هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم: كعب ابن مالك وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، هجرهم النبي ﷺ خمسين ليلة ولم يكلموهم حتى تاب الله عليهم[(١)]، فالشافعي رحمه الله استدل به على أن أهل البدع يُهجرون، وبأن من خيف عليه النفاق يُهجر.



(١) كما جاء عند البخاري من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]، رقم (٤٤١٨).

باب نص مذهبه في القدر خيره وشره وأنه من الله تعالى

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو الحسين نصر بن عبدالعزيز بن أحمد بن نوح الشيرازي المقرئ في جامع عمرو بن العاص بمصر سنة سبعة وعشرين وأربع مائة من لفظه رَحِمَهُ اللَّهُ قال أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر الحمامي المقرئ ببغداد قال أنبأنا محمد بن العباس بن الفضل قال أنبأنا عمران بن موسى قال أنبأنا الربيع بن سليمان قال كنت جالسا عند الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر القدر وأنشأ يقول:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أشأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ... فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ ... وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ[1])

الشَّرْحُ

هذه الأبيات التي نقلت عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بالسند فيها إثبات المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ للقدر بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ وأنه الخالق للعباد وأن القدر نافذ على جميع المخلوقات، وأن الله له الحكمة البالغة في مفاوتته بين خلقه، فكونه فاوت بين عباده، فأعان بعضهم ولم يعن البعض الآخر؛ مبني على علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأحوال عباده وما يصلح أحوالهم، فهو عليم بالذوات التي تصلح للإعانة وللهداية، فهو يهديها ويمن عليها

(١) انظر: القضاء والقدر للبيهقي (١/ ٣٢٨/ ٥٦٩).

بالهداية برحمته وإحسانه، وهو عليم ﷻ بالذوات التي لا تصلح للهداية فلا يهديها، بل يخذلها، فلابد من الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع، علم الله الأزلي، وكتابته لجميع الأشياء في اللوح المحفوظ، ومشيئته، وخلقه وإيجاده لجميع الأشياء، لهذا قال الأمام الشافعي رحمه الله: (ما شئتَ) يخاطب الرب ﷻ، (مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشأْ) يعني: مشيئة الله نافذة ولو لم يشاء العباد.

○ قوله: (وَمَا شِئْتُ) يعني: أنا أيها العبد (إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ) فما شاءه العبد لا يكون إلا إذا شاءه الله؛ وذلك لأن مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠]، فإذا شاء الله شيئا وأراده فلابد أن يقع سواء أراده العباد أو لم يريدوه، وإذا أراد العباد شيئا وشاؤوه فهذا إن شاءه الله فإنه يقع، وإن لم يشأ الرب ﷻ وقوعه فلا يقع.

○ قوله: (خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ)؛ لأن العلم هو أول مراتب القدر، والعلم هو السابق والعلم أزلي، ثم الكتابة ثم الإرادة، ثم الخلق والإيجاد، وهو خلقهم وفق علمه ﷻ:

(خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنْ)

يعني: الصغير و الكبير كلهم يجري فيهم قضاء الله وقدره.

(عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَـذَا أَعَـنْـتَ وَذَا لَـمْ تُـعِـنْ)

أي: من الله على المؤمنين ووفقهم وهداهم برحمته وإحسانه وفضله.

وللكفار (خذلت)، فخذلهم الله فلم يوفقهم لحكمة بالغة لأنه عليم بالذوات التي تصلح للهداية والتي يصلح فيها غرس الكرامة،

وعليم بالذوات التي لا يصلحها.

كل ذلك مبني على الحكمة، فمنهم شقي ومنهم سعيد وقبيح وحسن:

(فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ).







قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا ابن مهدي قال أنبأنا المري قال أنبأنا القاضي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الحداد قال: قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب حرملة أقبل شهادة أهل الأهواء كلهم إلا القدرية فإنهم كفار كأنه يريد طائفة منهم لأني وجدت عنه أنه قال ومنهم من يقول إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون كأن هذا لفظه فيما حفظت عنه فكأنه أرادهم بهذا دون غيرهم).

الشَّرْحُ

هذا النص فيه أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يكفر القدرية، والمراد بهم القدرية الأولى، الذين ينفون علم الله وكتابته للأشياء؛ لأن **القدرية طائفتان:**

الطائفة الأولى: الذين أنكروا علم الله وكتابته للأشياء، وبهذا نسبوا الله إلى الجهل، فقالوا إن الله لا يعلم بالشيء حتى يكون، وهم الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة، وهم الذين تبرأ منهم الصحابة كعبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما جاء في أول حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه[1]، قصة يحيى بن يعمر وصاحبه أنهما أتيا عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسألاه لما ظهرت القدرية، «**فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُاللهِ ابْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا**

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (٨).

وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، يعني: يطلبون العلم، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، أنف يعني: مستأنف من الجديد لم يسبق فيه علم الله، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، وسأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن الساعة وعن أشراطها، وفيه أنه لما سأله عن الإيمان قال: «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وغيره «**نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ، فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ أَنْكَرُوا كَفَرُوا**»[١].

ولهذا قال الإمام رَحِمَهُ اللهُ هنا: **(أقبل بشهادة أهل الأهواء كلهم إلا القدرية)** المراد بأهل الأهواء: أهل البدع، سُموا أهل البدع أهل الأهواء لأنهم يؤولون بأهوائهم وآرائهم ويتركون النصوص، فهم يعملون بأهوائهم وآرائهم وزبالة أذهانهم ونحاتة أفكارهم ويتركون النصوص ورائهم ظهرياً، فيقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أهل البدع أقبل شهادتهم إلا القدرية فإنهم كفار، أي القدرية الأولى.

الطائفة الثانية: القدرية المتوسطة الذين أثبتوا علم الله وكتابته

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٣/ ٣٤٩).

للأشياء ولكن أنكروا عموم المشيئة وعموم الخلق، حتى لا تشمل أفعال العباد، وقالوا إن الله شاء كل شيء في هذا الوجود إلا أفعال العباد فإنه ما شاءها، فلم يخلقها بل هم الخالقون لأفعالهم، فهؤلاء مبتدعة؛ لأن عندهم شبهة.

ومراد الإمام الشافعي رحمه الله هم الطائفة الأولى الذين أنكروا العلم والكتابة، فهم الذين كفرهم الشافعي وكفرهم غيره من أهل العلم.



باب نص الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوحيد

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي إجازة قال أنبأنا عبدالرحمن بن محمد بن جابر السلمي يقول سمعت محمد بن عقيل الأزهر الفقيه يقول: «جاء رجل إلى المزني فسأله عن شيء من الكلام في التوحيد فقال إني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي ولقد سمعت الشافعي يقول سألت مالكاً عن الكلام في التوحيد فقال مالك: «محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد» والتوحيد ما قاله النبي ﷺ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله ﷻ فما عصم به الدم والمال فهو حقيقة الدين»).

الشرح

هذا النص عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في التوحيد **(جاء رجل إلى المزني فسأله عن شيء من الكلام في التوحيد فقال: إني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي)** والمراد بكونه يكره الكلام في التوحيد، أي: توحيد أهل الباطل، وهو الخوض في الأعراض والأجسام كما بين في النص الذي بعد هذا، فهذا هو الذي يكرهه المزني ويكرهه الإمام الشافعي، أما توحيد أهل العلم وتوحيد المسلمين، فلا يمكن أن يكرهه الإمام ولا غيره؛ لأن من كرهه فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ

أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾﴾ [محَمَّد: ٩].

○ قوله: **(ولقد سمعت الشافعي يقول سألت مالكاً عن الكلام في التوحيد فقال مالك محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد)**؛ لأن التوحيد هو أصل الدين فكيف يعلمهم أحكام الاستنجاء والطهارة ولا يعلمهم أصل الدين.

○ قوله: **(والتوحيد ما قاله النبي ﷺ فإذا قالوها عصموا مني دمائهم.)** يعني: المراد بالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة وفي هذا يشير الشافعي رحمه الله إلى قول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»[1].

○ قوله: **(فما عصم به الدم والمال فهو حقيقة الدين)** فالذي يعصم من الدم والمال هو التوحيد، وقائله هو الشاهد لله تعالى بالوحدانية، والشاهد للنبي ﷺ بالرسالة، وهذا هو حقيقة الدين، أما الذي كرهه الإمام هو توحيد أهل الباطل كما سيأتي بالنص الذي بعده.



(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبَة: ٥] رقم (٢٥)، ومسلم: كِتَابُ الإِيمَانِ، رقم (٢١).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي إجازة قال سمعت أبا نصر أحمد بن محمد بن حاتم السجزي يقول قيل لأبي العباس ابن سريج صاحب الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما التوحيد؟ قال توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام وإنما بعث النبي ﷺ بإبطال ذلك).

الشَّرْحُ

هذا نص يبين أن المراد بالتوحيد الذي كرهه المزني وكرهه الشافعي هو توحيد أهل الباطل، وهو الخوض في الأعراض والأجسام، ولهذا جاء في هذا النص لعباس بن سريج ما التوحيد؟ **(قال: توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)** يعني: توحيد أهل العلم وجماعة أهل العلم هو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، والشهادة لنبيه محمداً ﷺ بالرسالة، وليس المراد قول هذه الكلمة باللسان، بل المراد أشهد لله تعالى بالوحدانية، باللسان وباعتقاد معناها، والإتيان بحقوقها والبعد عما يناقضها، وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الأعراض والأجسام وأنه لا يُعلم وجود الله إلا بحدوث الأجسام، ولا يعرف حدوث الأجسام إلا بحدوث الصفات، والصفات يسمونها الأعراض.

○ قوله: **(وإنما بُعث النبي ﷺ بإبطال ذلك)** يعني: بإبطال الخوض في الأعراض والأجسام.



باب ذمه الكلام وأهله

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حدثنا أبو نصر أحمد بن مهدي المقرئ قال أنبأنا أبو نصر عبدالوهاب بن عبدالله المري قال أنبأنا القاضي يوسف بن القاسم الميانجي قال أنبأنا أبو بكر الحميدي المعدل قال حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول لو علم الناس ما في الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد).

الشَّرْحُ

هذا النص فيه أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يذم الكلام، وهو: الخوض في الأجسام والأعراض والاعتماد على العقول ومناهج أهل الفلسفة وأهل المنطق، والإعراض عن النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لو علم الناس ما في الكلام)** يعني: من التشكيك والتضليل والحيرة والإعراض عن النصوص **(لفروا منه كما يفرون من الأسد)**؛ ولهذا فإن كثيراً من أهل الكلام صار عندهم حيرة واضطراب حتى أن بعضهم يضع رأسه على الفراش من أول الليل إلى الفجر وهو يتكلم في العرض والجسم، ثم يؤذن الفجر وهو على حاله ولا يصير عنده طمأنينة، ولهذا قال بعضهم لما لقي بعض أهل التوحيد: عندك طمأنينة؟ قال: نعم؛ أؤمن بالله ورسوله، فقال: اشكر الله، فأنا ليس عندي طمأنينة فعندي شكوك وحيرة،

فأجلس الساعات الطويلة وأسهر الليالي في الكلام في الأعراض والأجسام؛ ولهذا قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لو علم الناس ما في الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد)**.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي إجازة قال سمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول سمعت المزني يقول سمعت الشافعي يقول: الكلامُ يلعن لأهل الكلام).

الشَّرْحُ

هذا فيه ذم لأهل الكلام، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، والمراد به: السب والذم والشتم فمن سب شيئا وذمه يقال: لعنه، يعني: الكلام يذم من أجل الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، يعني: المذمومة، إن الله ذمها فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدّخان: ٤٣-٤٦] فالكلام يطردهم ويبعدهم عن رحمة الله وعن النصوص، ولو لم يكن فيه إلا الحيرة والشك والاضطراب والإعراض عن النصوص واستحواذ الشياطين وأهل السوء وأهل الإلحاد لكان كافياً في البعد عنهم.





قال المصنف رحمه الله:

(وبإسناده قال الربيع بن سليمان نزل الشافعي عن الدرجة وقوم في المجلس يتكلمون بشيء من الكلام فصاح عليهم وقال إما أن تجاوروننا بخير أو تقوموا عنا).

الشرح

هذا نص من الإمام الشافعي رحمه الله في التحذير من أهل البدع والبعد عنهم وعدم الجلوس معهم ولهذا صاح عليهم وقال: **(إما أن تجاورونا بخير)** فلا تتكلموا بالعرض والجسم **(أو تقوموا عنا)** وتبعدوا عنا.

تنبيه: في الواجب تجاه أهل البدع والشبهات التي كثرت وخاصة في الإنترنت؟

الواجب هو نصيحة أهل البدع لمن كان من أهل العلم أن ينصحهم ويحذرهم من البدع، والذي ينبغي على أهل العلم كشف هذه الشبه والرد عليها وإبطالها.

أما الذي ليس عنده أهلية فلا ينبغي أن ينظر في بدعهم، فلا يُناظر ولا يقرأ ما نشر في الشبكة المعلوماتية، ولا في الصحف؛ لأن قراءة الشبه والبدع قد تؤثر بالإنسان فقد تولد عنده شبهة في ذهنه قد لا تزول، فلا ينبغي للإنسان أن يقرأ كتب أهل البدع ولا شبههم، بل يبتعد عنها، فأهل العلم هم الذين يكشفون زيفها ويردون عليها ويناصحونهم.



قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا ابن مهدي قال أنبأنا المري قال أنبأنا القاضي قال أنبأنا أبو بكر الحداد قال أخبرني بشر بن نصر قال حدثني علاق بن مغيرة عن حرملة بن يحيى قال سمعت الشافعي يقول الفقه في الكلام الجهل به).

الشَّرْحُ

هذا النص فيه ذم للكلام، فبين رحمه الله أن الجهل في الكلام فقهٌ، فكون الإنسان يجهل الحجج لأهل الكلام وآرائهم ومصطلحاتهم، هذا فقه وعلم، وفي نص آخر روي عن الإمام الشافعي منقول عن أبي يوسف الصاحب الأول لأبي حنيفة أنه قال: «**الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ**»[1]، أي: العلم بالكلام يعني: بآرائهم ومصطلحاتهم هذا جهل لأنه لا يفيدك، إلا حيرةً وشكاً، فكون الإنسان يتعلم هذه الطرق وهذه المناهج لا يزيده ذلك إلا جهلاً، **(والجهل في الكلام هو العلم)** أي: إذا جهلت في طرق أهل الكلام ومناهجهم وأعرضت عنها فهذا هو العلم؛ لأنك تكون فارغاً من هذه الآراء الفاسدة وحينئذ تتلقى النصوص من الكتاب والسنة، ولهذا قال: **(الفقه في الكلام هو الجهل به)** يعني: كونك تجهل الكلام هذا فقه، والفقه هو الفهم.



(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (١/ ٤١٨/ ٣٣٩)، والدارمي في النقض (١/ ٦٥).



قال المصنف رحمه الله:

(وبإسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول لأن يلقى الله الرجل بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام).

الشَّرْحُ

هذا النص فيه بيان آثار الكلام والخوض في الأجسام والأعراض وفي حجج أهل الباطل ومناهجهم وأنه أمر عظيم ؛ لأنه يشكك القلوب ويولد فيها الحيرة والاضطراب، وهذا من أعظم الذنوب، فهو أشد من السرقة، وأشد من الزنا، فإن هذه الذنوب من الممكن أن يتوب منها الإنسان، فتجد الشخص قد يسرق وقد يزني وهو موحد ما عنده إشكال ولا عنده شبه، مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لكن غلبه هوى نفسه وهوى الشيطان فعمل الفاحشة أو عمل السرقة أو تعامل بالربا أو أكل الرشوة، لكن الخوف والكلام والاضطراب يخدش العقيدة ويولد الشكوك والاضطراب والحيرة، وقد يخرج من التوحيد والعياذ بالله، ولهذا قال الإمام الشافعي هذه المقالة قال: (لأن يلقى الله الرجل بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من الكلام) لأنه إذا لقي ربه بالزنا أو السرقة أو كذا من الذنوب فيكون تحت مشيئة الله، لأن توحيده سليم، لكن إذا لقي الله بالكلام صار توحيده مخلخلاً مهلهلاً مهزوزاً، فيه اضطراب وفيه حيرة، وقد لا يكون موحداً ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وبإسناده عن الشافعي قال حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام).

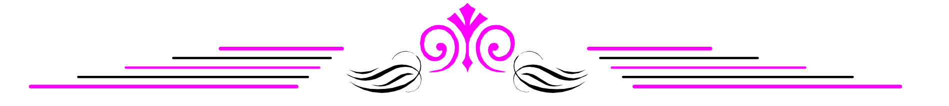
الشَّرْحُ

هذا النص حكم فيه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على أهل الكلام بأنه يجب تأديبهم ومجازاتهم على أعمالهم حتى يتركوا الكلام ويُقبلوا على الكتاب والسنة، فهو يرى أنه يجب معاقبة أهل الكلام الذين أعرضوا عن النصوص وخاضوا في الأجسام والأعراض واعتمدوا على مناهج أهل الفلسفة، وأدلة أهل المنطق فحكم فيهم أن: **(يضربوا بالجريد والنعال ويحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل)**؛ حتى يفتضحوا، فيكون ذلك سبباً في ردعهم وزجرهم، وفي السابق يُحملون على الإبل، أما الآن فيحملون على السيارات، ويطاف بهم في الأحياء والحارات ويضربون بالجريد والنعال، ويقال توبيخا لهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

تنبيه:

علم المنطق الذي يدرس في كلية الشريعة ليس من المنطق المذموم، إنما هو مقدمات وقواعد سليمة، فليس كل منطق مذموم.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إجازة قال سئل الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الكلام في الأسماء والصفات فقال بدعة ابتدعوها ولم تكن أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وأئمة الدين أرباب المذاهب مثل مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل وإسحاق الحنظلي ويحيى بن يحيى وعبد الله بن المبارك ومحمد بن يحيى يتكلمون في ذلك بل ينهون عن الخوض فيه ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة فإياك والخوض فيهم والنظر في كتبهم بحال يعني: المتكلمين والله أسأل أن يعيذنا من مظلات الفتن ما ظهر منها وما بطن).



الشَّرْحُ

هذا النص عن الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة[1] رَحِمَهُ اللَّهُ، صاحب الصحيح، وهو من الأئمة ويلقب بإمام الأئمة، أنه سئل عن الكلام في الأسماء والصفات على طريقة أهل البدع الذين يعتمدون على عقولهم وآرائهم وينفون الصفات ويتأولونها فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بدعة**

---

(١) الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، حدث عنه: البخاري، ومسلم في غير (الصحيحين)، انظر: سير الأعلام (١٤/ ٣٦٥)، وطبقات الشافعيين (١/ ٢١٩).

ابتدعوها ولم تكن أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وأئمة الدين يتكلمون في ذلك) أي: ما كانوا يتكلمون في الجسم فقالوا: إنه يلزم لإثبات الصفات أن يكون الله جسماً؛ لأن الصفات لا تقوم إلا بالأجسام وإذا كان الله جسماً صار مشابها للمخلوقات فهذا باطل،فإذا نفى الصفات، فلا يكون جسماً، هكذا يقولون! يقول الإمام ابن خزيمة عن هذه **(بدعة ابتدعوها)** ما تكلم بها أئمة المسلمين بل كانوا ينهون عنها من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، مثل: مالك بن أنس صاحب المذهب المعروف، وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل وإسحاق الحنظلي ويحيى بن يحيى وعبدالله بن المبارك ومحمد بن يحيى، كلهم ما كانوا يتكلمون في الأجسام والأعراض على طريقة أهل الكلام، بل كانوا ينهون عن الخوض في ذلك ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة.

❍ قوله: **(فإياك والخوض فيه)** إياك كلمة تحذير يعني: احذر الخوض في الكلام **(والنظر في كتبهم بحال)** فإنها تضلك، **(يعني: المتكلمين)**.

ثم سأل الله والتجأ إليه، قال: **(والله أسأل أن يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن)** هكذا ينبغي للمسلم أن يُعرض عن طريقة أهل الكلام وأن يلجأ إلى ربه وأن يضرع إليه بأن يعيذه من مضلات الفتن، فإن كثيراً من الناس فُتنوا بما عليه أهل الكلام وأعرضوا عن النصوص من الكتاب والسنة.



باب نص مذهبه في الخلافة والصحابة ﭫ

قال المصنف ﬁ:

(أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني ﬁ قال أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس الزاهد ببغداد قال أنبأنا محمد بن إسحاق المقرئ قال أنبأنا الحسن بن الحباب بن مخلد المقرئ قال سمعت محمد بن الحسن بن الصباح الزعفراني يقول سمعت الشافعي ﬁ يقول اجتمع الناس على خلافة أبي بكر ﭬ واستخلف أبو بكر عمر ثم جعل عمر الشورى إلى ستة على أن يولوها واحداً منهم فولوها عثمان، قال الشافعي وذلك أنهم نظروا بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر الصديق ﭬ فولوه رقابهم).

الشَّرح

هذا النص عن الإمام الشافعي ﬁ في بيان اعتقاده في الصحابة والخلفاء الراشدين، وأنه يعتقد ما يعتقده أهل السنة والجماعة، ويبرأ مما كان عليه الرافضة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم، وقالوا إن النبي ﷺ نص على الأئمة الاثني عشر وأولهم علي بن أبي طالب، ونص على أن الخليفة هو علي بن أبي طالب، ولكن الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ كفروا وارتدوا عن الإسلام، وأخفوا النصوص التي فيها أن الخليفة بعده علي بن أبي طالب، وولوها أبا بكر زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم ولوا الخلافة عمر زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم ولوها عثمان زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم وصلت إلى الخليفة الأول وهو علي ﭬ هكذا يقولون!

فهؤلاء كفروا الصحابة وفسقوهم، والله ﷻ زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة، فقولهم هذا كفر وضلال.

فالإمام الشافعي رحمه الله يبرأ من طريقة الروافض، وهو على عقيدة أهل السنة والجماعة من صحة خلافة أبي بكر وصحة خلافة عمر وصحة خلافة عثمان رضي الله عنهم، ولهذا يقول: **(اجتمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه)**، يعني: ثبتت الخلافة لأبي بكر بمبايعة أهل الحل والعقد، وقيل: بالنص على قولٍ لأهل العلم.

○ قوله: **(واستخلف أبو بكر عمر)** فثبتت البيعة لعمر بولاية العهد.

○ قوله: **(ثم جعل عمر الشورى إلى الستة على أن يولوها واحداً منهم، فولوها عثمان)** فثبتت البيعة لعثمان.

والستة الذين جعل عمر الشورى بينهم هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، قال عمر بن الخطاب: ما رأيت أحق بالأمر من هؤلاء العشرة الذين توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم العشرة المبشرون بالجنة: طلحة بن عبيد الله، وسعد بن وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن عوام، وقال: يشهدكم عبدالله، ويكون له رأي في الشورى، وليس له من الأمر شيء، أي: يحضر عبدالله بن عمر معكم في الشورى لكن بشرط ألا يولى الخلافة، كالتعزية له.

○ قوله: **(قال الشافعي وذلك أنهم نظروا بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر الصديق فولوه رقابهم)** يعني: لا يوجد تحت أديم السماء بعد وفاة النبي ﷺ أفضل من أبي بكر فهو أفضل الأئمة بعد نبينا ﷺ وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافاً للروافض.





قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ قال أنبأنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ قال أنبأنا أحمد بن جعفر بن سلمة قال أنبأنا محمد بن مخلد قال أنبأنا محمود بن محمد المروزي قال سمعت أبا سليمان الحارث بن سريج قال سمعت إبراهيم بن عبيد الله الحجبي يقول للشافعي رحمه الله ما رأيت هاشميا قط قدم أبا بكر وعمر على علي غيرك. فقال الشافعي: عليٌّ ابن عمي وابن خالتي وأنا رجل من بني عبد مناف وأنت رجل من بني عبدالدار فلو كان هذا مكرمة كنت أنا أحق بها منك، ولكن ليس الأمر كما تحسب، وقال الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم أجمعين).



هذا النص عن الإمام الشافعي رحمه الله جاء فيه أن إبراهيم بن عبيد الله الحجبي قال للشافعي: (ما رأيت هاشميا قط قدم أبا بكر وعمر على علي غيرك)؛ لأن الشافعي رحمه الله قرشي ومطلبي وهاشمي، فكأن السائل للشافعي رحمه الله يقول أنت خالفت الهاشمين، فكلهم لا يقدمون أبا بكر وعمر إلا أنت فقد قدمت أبا بكر وعمر على علي بن أبي طالب، وهذا ليس بصحيح، لكن هذا سؤال، فقال الشافعي رحمه الله: (علي ابن عمي وابن خالتي) يعني: كأن له صلة نسب من جهة أبيه ومن جهة أمه: (وأنا رجل من بني عبد مناف وأنت رجل من بني

عبد الدار فلو كان هذا مكرمة) يعني: لو كان تقديم علي على أبي بكر وعمر مكرمة **(كنت)** أنا **(أحق بها منك)**، **(لكن ليس الأمر كما تحسب)** أي: أن الأمر إنما هو على حسب النصوص، والنصوص دلت على تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والصحابة أجمعوا على تقديم أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة، فالشافعي بين أنه ليس مكرمة تقديم علي على أبي بكر وعمر؛ إذ لو كان مكرمة لسبقتُك إلى ذلك لكن ليس الأمر كما تحسب، فالأمر إنما هو على حسب النصوص التي دلت على تقديم الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكذلك أيضا إجماع المسلمين، ولهذا بين الإمام الشافعي رحمه الله لهذا السائل أنه غلط في هذا الكلام، فالكلام ليس بصحيح.

والدليل على فضل الخلفاء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم هو أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بالجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ**»[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[2]، وكل واحد من الخلفاء الأربعة له فضائل خاصة تذكر في كتب العقائد.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رضي الله عنه، رقم (٣٧٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: أبواب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه: المقدمة، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، رقم (٤٢).

■ مسألة: **هل يجوز قول علي كرم الله وجهه أو عليه السلام؟**

● **الجواب:** هذا من شعار الشيعة يخصون عليا رضي الله عنه بقولهم: عليه السلام، وكرم الله وجهه، وفاطمة أيضاً بقولهم: عليها السلام، وأهل البيت بقولهم: عليهم السلام، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الصحابة كلهم سواء، فكل الصحابة كرم الله وجوههم، وكل الصحابة رضي الله عنهم، يترضى عنهم ويترحم على من بعدهم ويصلى على الأنبياء، لكن لو صلى على بعض الصحابة في بعض الأحيان أو صلى على غيرهم لا بأس؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما دفع عبدالله بنُ أَبِي أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ قال: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**»[1]، فإذا صلى على بعض الصحابة وبعض التابعين أو ترضى عن بعض التابعين أحيانا فلا بأس، لكن لا ينبغي أن يكون هذا هو الشعار، بل الأكثر والأغلب أن تكون الصلاة على الأنبياء، والترضي عن الصحابة، والترحم على من بعدهم.

○ قوله: **(وقال الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم أجمعين)** عمر بن عبدالعزيز ضمَّه بعض العلماء للخلفاء الراشدين؛ لِمَا اشتهر عنه من العدل والورع والزهد، وإن كانت مدته قصيرة لكنه نشر العدل بين الرعية وعمل بالكتاب والسنة فلهذا صارت خلافته خلافة راشدة.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام، ودعائه لصاحب الصدقة، رقم (١٤٩٧)، مسلم: كتاب الزكاة،، رقم (١٠٧٨).



قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ قال أنبأنا علي بن عمر الحمامي المقرئ قال أنبأنا أبو بكر محمد بن حسن النقاش قال أنبأنا محمد بن الحسن الحراني قال أنبأنا الحسين بن محمد بن بحر بمصر قال أنبأنا حرملة قال قال الشافعي رحمه الله ما كلمت رجلاً في بدعة إلا رجلاً متشيعاً. إن التشيع أضل البدع وأرداها وهو الرفض، وسمعت الشافعي يقول ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة، وهم أكذب الطوائف، وأشدهم زورا وبهتانا).

الشَّرْحُ

هذا النص عن الإمام الشافعي رحمه الله في بيان بدعة التشيع والرفض، قال رحمه الله: **(ما كلمت رجلاً في بدعة إلا رجلاً متشيعاً)** ثم قال: **(إن التشيع أضل البدع)** التشيع معناه: الميل، قال تعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ [الصَّافات: ٨٣] أي: إبراهيم عليه السلام من شيعة نوح يعني: ممن يتبعونه ويوافقونه، وقد سُمُّوا شيعة لأنهم يتشيعون لعلي رضي الله عنه بزعمهم ولأهل البيت ويحبونهم ويميلون إليهم، والمسلمون كلهم يحبون أهل البيت ولكن محبة معتدلة، محبة موافقة للنصوص، وأما هؤلاء الرافضة فإنهم غلوا في أهل البيت حتى عبدوهم من دون الله، وانقسموا إلى أربع وعشرين فرقة، منهم المؤمن ومنهم الكافر على حسب الاعتقاد.

ومعنى كلام المؤلف أن التشيع يجر إلى البدع الأخرى، فمنها: بدعٌ في الطهارة، وبدعٌ في الصلاة، وبدعٌ في الحج، وبدعٌ في

الصيام، وبدعة المهدي المنتظر، فكلٌّ هذه مبنية على بدعة التشيع، فإذا دخل الإنسان في التشيع لزمته البدع الأخرى التي تخالف ما عليه المسلمين، ولو سلم من التشيع سلم من هذه البدع.

▪ مسألة: **هل المهدي المنتظر الذي هو مقرر في عقيدة أهل السنة، هو المهدي المنتظر عند الشيعة؟**

• الجواب: المهدي المنتظر عند أهل السنة، غير المهدي المنتظر عند الرافضة والشيعة؛

- فالمهدي المنتظر عند أهل السنة جاءت به أحاديث كثيرة، بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، وما دلت عليه الأحاديث هو أنه رجل من آل النبي ﷺ من سلالة فاطمة اسمه مثل اسم النبي وكنيته مثل كنيته، محمد بن عبدالله، كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ**» قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «**لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»(١)، يخرج في آخر الزمان، يبايع له في الكعبة بين الركن والمقام في وقت ليس للناس فيه إمام، فالمهدي لا يقاتل الناس ولا يخرج على الإمام، بل يبايع له وهو لا يريد البيعة، لكن يُلزم بالبيعة في وقت ليس للناس فيه إمام، فيملأ الأرض عدلا كما مُلأت جورا، وفي وقت المهدي تحصر الناس الفتن، ويجتمعون في الشام وتحصل في أيامه حروب طاحنة بين المسلمين وبين النصارى ومن آخرها فتح القسطنطينية، فإذا فتح المسلمون القسطنطينية خرج الدجال في زمان المهدي الذي يدعي

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢).

الصلاح، ثم يدعي النبوة ثم، يدعي الربوبية، ثم بعد خروج الدجال ينزل عيسى بن مريم وهي العلامة الثالثة، فيقتل الدجال، كما جاء في الحديث: «**إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ**»[(١)]، ثم بعد قتل الدجال يخرج يأجوج ومأجوج وهي العلامة الرابعة، ثم تتابع أشراط الساعة[(٢)]، هذا المهدي عند أهل السنة حق.

ـ أما المهدي عند الرافضة فهو خرافة لا أصل له، يزعمون أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري من نسل الحسين وهو الإمام الثاني عشر وأبوه الحسن العسكري مات عقيماً ولم يولد له فاختلقوا له ولداً، وقالوا: أنه دخل السرداب في سامراء في العراق سنة ستين ومائتين كما أخبرني بعض الإخوان من سامراء في العراق أنهم يأتون إليه في أوقات محددة ببغلة ويشترون السلاح ويأتون على باب السرداب وينادون بأصوات مرتفعة يا مولانا اخرج يا مولانا اخرج، وفي وقت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: (**مضى عليه أربع مائة سنة**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣٧).

(٢) كما جاء في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ـ فَذَكَرَ ـ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**» أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ،بَابٌ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٠١).

ما خرج)، ونحن نقول في زمننا: مضى عليه أكثر من ألف ومائتين سنة وما خرج، ويقال: إنهم جعلوا أناس في أوقات بعضهم في المدينة وفي غيرها، يقفون ولا يصلون الصلاة، فإذا قيل لهم: صلوا، قالوا: لا يمكن؛ فقد يخرج المهدي ونحن مشتغلون بالصلاة، فهذا المهدي خرافةٌ، فأبوه مات عقيما ولم يولد له، ثم بعد ذلك لو فرضنا أنه وُلد له وأنه دخل السرداب، فدخوله السرداب وهو ابن ثلاث سنين لا يزال طفلاً يحتاج إلى حضانة، ثم أيضا كيف يجلس هذه المدة وما مات، ثم أيضا الرافضة أو الشيعة يعلقون سعادة الناس بهذا المهدي المنتظر.

فالمقصود أن المهدي عند الرافضة خرافة لا أصل له، وقد رد عليهم شيخ الإسلام رحمه الله وبين أنه لا يمكن أن يكون أمر الأمة كله معلقاً بالمهدي، وكيف تتعطل الأمة حتى يخرج المهدي، فإذا كانت المرأة إذا غاب زوجها مدة طويلة رفعت أمرها إلى الحاكم وتفسخ لدفع الضرر عنها، فكيف بأمر الأمة إذا كانت برجل واحد سعادتها وشقاوتها به!!

○ قوله: **(ما كلمت رجلا في بدعة إلا رجلاً متشيعاً)** يعني: الذي أَحْرِصُ على أن أكلمه هو المتشيع، لأن التشيع يفتح باب البدع كلها، أما البدع الأخرى فلا أكلمهم، أي: لا أكلم رجلاً عنده بدعة غير بدعة التشيع؛ لأن الأمر أخف وأسهل.

○ قوله: **(إن التشيع أضل البدع وأرداها وهو الرفض)**، الرِّفض يعني: اعتقاد الرافضة، أما الرَّفض فمعناه: الترك، وليس المراد هذا.

○ قوله: **(وسمعت الشافعي يقول ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة)** يعني: هم أشد الطوائف شهوداً بالزور والكذب، فدينهم مبني على الكذب، حتى قال الشعبي: (لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا أو أن يملؤوا بيتي ذهبا على أن أكذب لهم على علي لفعلوا، ولكن والله لا كذبت عليه أبدا)(١). بخلاف الخوارج؛ لأن الخوارج من أصدق الطوائف، بل يرون أن الكذب كبيرة، وقد يكفرون بالكذب، ولهذا روى البخاري ﵀ عن عمران بن حطان(٢)، وهو من الخوارج، وأكذب الطوائف هم الرافضة، وهذا النص عن الإمام الشافعي صريح في هذا، فهو يقول: **(ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة، وهم أكذب الطوائف، وأشدهم زورا وبهتانا)**، ويقال إن الرافضة إذا اختلفت في قولين، وأحد القولين لا يعرف له قائل، فالحق هو الذي لا يعرف له قائل عندهم، وإذا اختلفوا في عشرة مذاهب، نشأ مذهب حادي عشر؛ لأن دينهم مبني على الظلام والتكتم، ولهذا عندهم مسألة التغيير والزور والبهتان والكذب.



---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦/ ٣٩٣) وانظر: السنة للخلال (١/ ٤٩٧) قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (١/ ٢٨): [هذا ثابت عنه].

(٢) خرج له البخاري في صحيحه: كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ لُبْسِ الحَرِيرِ وَافْتِرَاشِهِ لِلرِّجَالِ، وَقَدْرِ مَا يَجُوزُ مِنْهُ، رقم (٥٨٣٥)، قال الذهبي في السير(٤/ ٢١٤): «عِمْرَانُ بنُ حِطَّانَ بنِ ظَبْيَانَ السَّدُوْسِيُّ، مِنْ أَعْيَانِ العُلَمَاءِ، لَكِنَّهُ مِنْ رُؤُوْسِ الخَوَارِجِ... قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَيْسَ فِي أَهْلِ الأَهْوَاءِ أَصَحُّ حَدِيْثاً مِنَ الخَوَارِجِ».

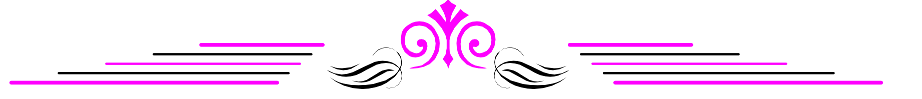
باب في مدحه الحديث وأهله

قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو القاسم الحسين بن أحمد بن إسحاق بثغر آمد حماها الله قال أنبأنا أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده الحافظ قال أنبأنا محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يقول طلب الحديث أفضل من صلاة النافلة).

الشَّرْحُ

هذا النص فيه حث الإمام الشافعي رحمه الله على طلب العلم،وأنه أفضل من صلاة النافلة، ولهذا قرر العلماء أن طلب العلم أفضل من نوافل العبادة، يعني: نوافل الصلاة، ونوافل الصيام، ونوافل الحج، فإذا كان طلب العلم يمنعك من صلاة الليل أو من صلاة الضحى أو يمنعك من صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو من صوم يوم وفطر يوم، أو من حج النافلة، فقدم طلب العلم لأن الإنسان إذا تعلم العلم تبصر وتفقه وأزال الجهل عن نفسه، ثم يزيل الجهل عن غيره، فنفعه متعدي بخلاف نوافل الصلاة، فنفعها خاص بك قاصرٌ عليك، أما طلب العلم فنفعه لك ولغيرك، والقاعدة عند أهل العلم أن ما كان نفعه متعدي فهو مقدم على ما نفعه قاصر، ولهذا قال الإمام رحمه الله: **(طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)**؛ لأن طلب العلم نفعه متعدٍ، وصلاة النافلة نفعه قاصر.



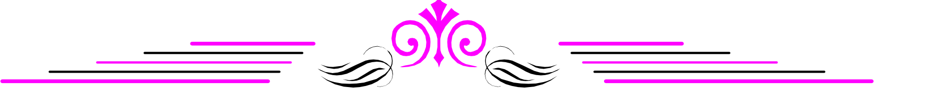
قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو القاسم سعيد بن محمد الإدريسي الحافظ قال أنبأنا الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن نعيم الحافظ قال أخبرني الزبيري بن عبدالواحد قال أنبأنا أبو العباس الطبري قال أنبأنا محمد بن إسحاق قال أنبأنا يونس بن عبدالأعلى قال سمعت الشافعي رحمه الله يقول إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني أرى رجلاً من أصحاب النبي ﷺ).

الشَّرْحُ

هذا النص عن الإمام الشافعي فيه تعظيم لأهل الحديث وتبجيل لهم، يقول: **(إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني أرى رجلاً من أصحاب النبي ﷺ)**؛ لأن أصحاب النبي ﷺ يعظمونه ويبجلونه ويعززونه ويوقرونه ولهم عناية بالحديث، فنقلوا حديث رسول الله ﷺ وبلغوه الناس وجاهدوا مع رسول الله ﷺ ونشروا دين الله، فكذلك أصحاب الحديث على أثر الصحابة، فإن أصحاب الحديث يعظمون حديث رسول الله ﷺ ويعملون بحديث رسول الله وينشرونه كما كان الصحابة ينشرون الحديث ويبلغونه، ويتبعون أيضا آثار الصحابة والتابعين.





قال المصنف رحمه الله:

(وأخبرنا سعيد بن محمد الإدريسي قال أنبأنا محمد بن عبدالله الحاكم قال سمعت أبا العباس الأصم يقول سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي وقد روى حديثا فقال له رجل تأخذ بهذا يا أبا عبدالله فقال إذا رويت حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب).

الشَّرح

هذا النص عن الإمام رحمه الله فيه تعظيم للحديث، ويقول: **(إذا رويت حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به)** فلا يمكن أن يكون شعوري كاملاً يعني: لابد أن يكون عندي خلل، وهذا فيه دليل على أن من ترك الحديث فإنه ليس بمتوازن، وعقله سليم بل فيه خلل، ولو كان عقله سليماً وتفكيره صحيحاً لما ترك الحديث، ولهذا فإن العاصي في عقله خلل بسبب الجهل، ولهذا قال بعض العلماء: (من عصى الله فهو جاهل)[1]، فالذي لا يأخذ بالحديث عاصٍ وعقله ليس كاملاً، بل فيه خلل ولهذا أكمل الناس هم المؤمنون المتقون؛ لذا سماهم الله: أولوا الألباب، وأثنى عليهم لامتثالهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولهذا قال الإمام الشافعي: **(إذا رويت حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فأشهدكم**

(١) تفسير عبدالرزاق (٨٨٤٨) وتفسير لطبري (٨٨٣٤) و(٨٨٣٥) و(٨٨٣٦) و(٨٨٣٧).
وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٢).

أن عقلي قد ذهب) وهذا فيه إشارة إلى أن الذي يترك الحديث عقله ليس تاماً بل عنده خلل في عقله، ولو كان عقله تاماً لما ترك الحديث.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي إجازة قال أنبأنا علي بن محمد بن عمر الفقيه بالري قال أنبأنا عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي قال أخبرني عبدالله بن أحمد بن حنبل فيما كتب به إلي قال سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ثبت عنده الخبر قلده وخير خصلة كانت فيه أنه لم يشته الكلام إنما همته الفقه).

الشَّرح

هذا النص عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح الشافعي، فهذا إمام يمدح شيخه الإمام، فالإمام أحمد من تلاميذ الشافعي، يمدحه فيقول: **(إذا ثبت عنده الخبر قلده)** يعني: عمل به واتبعه، وهذه منقبة للإمام الشافعي وشهادة من إمام لإمام؛ لأنه يعظم الحديث فإذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ فاعمل به واتبعه.

○ قوله: **(وخير خصلة كانت فيه أنه لم يشته الكلام إنما همته الفقه)** يعني: خير خصلة في الشافعي أنه يبغض الكلام ولا يشتهيه ولا يريده، وهمه الفقه، والفقه هو الفهم عن الله وعن رسوله، هذه همة الشافعي فخير خصلة فيه أن همته الفهم عن الله وعن رسوله ﷺ.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أحمد بن مهدي قال أنبأنا أبو نصر المري قال أنبأنا القاضي الميانجي قال أنبأنا أحمد بن مروان المالكي قال أنبأنا زكريا بن يحيى الساجي قال أنبأنا أحمد بن أبي الليث عن أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ما رأيت أتبع للأثر من الشافعي).



هذه شهادة ثانية من الإمام أحمد للإمام الشافعي رحمهما الله، يقول الإمام أحمد: **(ما رأيت أتبع للأثر من الشافعي)** أي: أن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عنده عناية بالآثار، والآثار هي أحاديث رسول الله ﷺ وما جاء عن الصحابة، فبين الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ما رأى من العلماء والفقهاء مثل الشافعي في شدة اتباعه للأحاديث، والأخذ بها، فهو أشد الناس اتباعا للآثار.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وبإسناده عن صالح بن أحمد بن حنبل قال سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذكر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال كان إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة لم يلتفت إلى غيره وكان رجلاً قد جمع الله فيه العلم والفقه وقراءة القرآن والخضوع).

الشَّرْحُ

هذه شهادة ثالثة من الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ للإمام الشافعي في تعظيمه للحديث وعنايته به وتقديمه على كل شيء، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر الشافعي: **(كان إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة لم يلتفت إلى غيره)** يعني: يطرح جميع الآراء وجميع الأقوال التي تخالف كلام رسول الله ﷺ أو كلام الصحابة ويعرض عنها ويقبل الخبر عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة.

○ قوله: **(وكان رجلاً قد جمع الله فيه العلم والفقه وقراءة القرآن والخضوع)** هذه صفات عظيمة، و**(العلم)** هو: ما أُخذ من الكتاب والسنة **(والفقه)** هو: الفهم **(وقراءة القرآن)** وهي: عبادة جليلة القدر، ومعلوم أن القرآن يُقرأ للتدبر فيحصل العلم والفقه والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ، والخضوع لكلام الله، والاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، ويلزم من ذلك العمل، وهذه منقبة للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالملك بن أبي طالب الإمام بجامع حلب قال أنبأنا أبو عبدالله الأنصاري قال أنبأنا أبو نصر الفانني الفقيه قال أنبأنا أبو إسحاق الطبري قال أنبأنا أبو عمر بن السماك قال أنبأنا أبو بكر محمد بن إسماعيل التمار بالرقة قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول إذا رويتم عن النبي ﷺ بخلاف قولي فدعوا قولي وخذوا به فإني أقول به).

الشَّرْحُ

هذا النص من الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في تعظيم السنة، يقول: **(إذا رويتم عن النبي ﷺ بخلاف قولي فدعوا قولي وخذوا به فإني أقول به)** يعني: إذا قلت قولاً يخالف الحديث فإنما قلته لأن الحديث لم يبلغني، فاتركوا قولي وخذوا بالحديث فإني أقول به.

وهذا قول الأئمة الأربعة كلهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، كلهم يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا قلت قولاً يخالف قول رسول الله ﷺ فخذوا بالحديث واضربوا بقولي عرض الحائط[1]، وهذا هو الواجب على المسلم، العمل بالنصوص وطرح ما سواها، وهذا هو عمل الأئمة رحمهم الله وهم قدوة الناس بعد الأنبياء.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ٦٣) والمجموع (١/ ٦٣)، وحاشية ابن عابدين (١/ ٦٣)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩١)و(٢/ ١٤٩)، وإعلام الموقعين (٢/ ٣٠٢)، والحلية (٩/ ١٠٧).

أبيات للشافعي رحمه الله في مدح الحديث وأهله

قال المصنف رحمه الله:

(قال أنشدني محمد بن عبدالله الفقيه البغدادي قال أنشدني القاضي أبو الطيب الطبري قال أنشدني بعضهم للشافعي:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ[1])

الشَّرْح

وهذه الأبيات عن الإمام الشافعي فيها: تعظيم للقرآن والحديث، وأنه ينبغي للإنسان أن يأخذ بالقرآن والحديث، وأن يترك العلوم الأخرى التي تزاحمها، ولهذا قال رحمه الله:

(كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ)

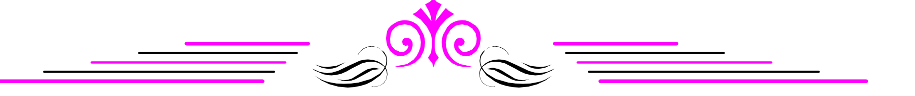
فالعلم الصحيح هو المأخوذ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فينبغي للإنسان أن يقبل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن يأخذ العلم منهما وأن يطرح ما سواهما مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يحذر من العلوم التي تزاحم الكتاب والسنة وما أكثرها في هذا العصر فقد زوحم القرآن والسنة بعلوم أخرى كثيرة من رياضيات ولغات أجنبية ونحوها.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٥٤)، وطبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٩٧).

فبين الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن كل العلوم سوى القرآن، تشغل الإنسان إلا الحديث والفقه في الدين، فالعلم ما كان مأخوذاً من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ: **(مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا)**.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأنشدني سعيد بن محمد الإدريسي بصيدا قال أنشدني أبو عبدالله محمد بن الحسين سيبويه الأصبهاني بصنعاء قال أنشدنا أبو عبدالله الفقيه المراغي للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا رأيت شباب الحي قد نشؤوا ... لا ينقلون قلال الحبر والورقا

ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق ... يعون من صالح الأخبار ما اتسقا

فدعهم عنك واعلم أنهم همج ... قد أبدلوا بعلو الهمة الحمقا

الشَّرْحُ

هذه الأبيات أيضا للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيها حث للشباب على طلب العلم واقتناء الكتب؛ لأن طالب العلم لا بد أن يكون معه كتب، وورق، وكانوا في الأول ينقلون الحبر والورق ويكتبون، فينبغي لطالب العلم أن يكون معه الكتب، لأن طالب العلم بلا كتاب كالمقاتل بلا سلاح، فهي سلاح طالب العلم، ولهذا حث الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا وبين أن الشباب إذا ابتعدوا عن الحبر والورق والكتاب وابتعدوا عن الحِّلَق والدروس العلمية فإنهم همج قد استبدلوا بعلو الهمة الحمق؛ لأنهم لو حضروا حِلَق العلم فإنهم، **يعون من صالح الأخبار ما اتسقا**)، يعني: يتفهمون ويتفقهون الأخبار الصالحة عن رسول الله ﷺ، **(فدعهم عنك)** فإنهم أعرضوا عن العلم **(واعلم أنهم همج)** لا خير فيه؛ كما قال بعض السلف «**اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا، وَلَا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ**»[1]، وقال

(١) أخرجه الدارمي في سننه، رقم (٢٥٤)، ووكيع في الزهد، رقم (٥١٣).

بعضهم: «**اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلَكَ**»[(١)] لا عالم ولا متعلم ولا مجالس ولا محب هذا هالك، ولهذا قال: **(فدعهم عنك واعلم أنهم همج قد أبدلوا بعلو الهمة الحمقا)** وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «**النَّاسُ ثَلَاثٌ، فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَالْبَاقِي هَمَجٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ**»[(٢)].



---

(١) أخرجه البزار في مسنده، رقم (٣٦٢٦)، والطبراني في الأوسط، رقم (٥١٧١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم(٦١١٦)، و وكيع في الزهد (٥١٢) من كلام الحسن البصري.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، رقم(١٤٩).



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(أخبرنا الشيخ أبو طاهر محمد بن نصر بن أحمد الموصلي المعروف بابن الغرابيلي قال أنبأنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد بن حماد قال أنبأنا أبو بكر محمد بن حسين الآجري قال أنبأنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصاص قال أنبأنا الربيع بن سليمان قال قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها بفرض الله تعالى).



يعني: يجب على الإنسان اتباع السنة، وليس له أن يتركها، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وهذا الأمر للوجوب، فالواجب على الإنسان أن يأخذ بالنصوص وأن يترك ما سواها، فقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، فالشافعي رَحِمَهُ اللهُ استند إلى هذه النصوص، ولهذا قال في مستند وجوب اتباع السنة **(بفرض الله تعالى)**.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رحمه الله:

(سمعت القاضي أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي ببغداد يقول سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن عبدالسلام بن الواثق يقول سمعت بعض من أثق إليه يقول رأيت بعض الصالحين في النوم فقلت له: ما فعله الله بك، قال غفر لي، قلت من وجدت أكثر أهل الجنة؟ قال: أصحاب الشافعي، قلت: فأين أصحاب أحمد؟ قال: سألتني عن أكثر أهل الجنة، ما سألتني عن أعلى أهل الجنة، أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة منزلة وأصحاب الشافعي أكثر أهل الجنة.

قال شيخ الإسلام المؤلف لهذا الكتاب رضي الله عنه: ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني، فقال: عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ومذهب الشافعي وإياك وأهل البدع من أصحاب أبي حنيفة، ومجالسة أهل البدع من غيرهم).

الشَّرح

○ قوله: (سمعت بعض من أثق إليه) هذا مجهول وقد يثق به هو ولا يثق به غيره، فيكون هذا ضعيفا؛ لأنه لا بد أن يذكر المحدث من حدثه.

○ قوله: (رأيت بعض الصالحين في النوم فقلت له: فما فعله الله بك، قال: غفر الله لي، قلت: من وجدت أكثر أهل الجنة؟ قال: أصحاب الشافعي، قال: فأين أصحاب أحمد؟ قال: سألتني عن أكثر أهل الجنة ما سألتني عن أعلى أهل الجنة، أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة منزلة، وأصحاب الشافعي أكثر أهل الجنة) وهذا

المنام ضعيف؛ لأن في سنده من لم يسم، ولكن لا شك أن الشافعي وأحمد كلهم أئمة حق وأئمة هدى، وكلهم على الحق وكلهم من أهل السنة والجماعة، وكلهم من أهل التوحيد فهم على خير عظيم، وأما هذا التفضيل فالله أعلم بتفضيل هؤلاء فهذا إلى الله ﷻ، فكل من أخلص توحيده لله وعمله لله، يكون أعلى درجة من غيره على حسب التوحيد والإخلاص والصدق، وكلما قوي التوحيد والإخلاص والصدق أحرق الشبهات والشهوات، فالناس يتفاوتون في منزلة اليقين والتقوى والإخلاص والصدق والمحبة، والله تعالى هو الذي يتولى ذلك.

○ ثم قال **(شيخ الإسلام المؤلف لهذا الكتاب)** يعني: الهكاري **(رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ومذهب الشافعي وإياك وأهل البدع من أصحاب أبي حنيفة ومجالسة أهل البدع من غيرهم)** هذا المنام له توجيه فلا يجزم ببطلانه، وإن كان المؤلف ما ذكر سندا صحيحا، ولا شك أن الإمام أحمد هو إمام أهل السنة والجماعة وعقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة، وكذلك الشافعي كلهم على حق، وقوله: **(إياك)** يعني: أحذرك **(أهل البدع من أصحاب أبي حنيفة ومجالسة أهل البدع من غيرهم)**، فهذا له وجهان:

الوجه الأول: أصحاب أبي حنيفة عندهم بدعة الإرجاء، وإن كانوا يسمون مرجئة الفقهاء وخلافهم مع أهل السنة خلاف لفظي؛ لأنهم يقولون بأن الأعمال مطلوبة وإن لم تكن داخلة في مسمى الإيمان، ومن ارتكب كبيرة فإنه يأثم ويقام عليه الحد، ومن فعل الحسنات فإنه يمدح ويثاب، لكن مع ذلك هم خالفوا الكتاب والسنة في اللفظ، والله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤] فأدخل الأعمال في مسمى الإيمان، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ**»(١) وفي رواية: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(٢) ولمسلم وأبي داود: «**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»(٣).

هذه النصوص وغيرها كثيرة وليس هذا محل سردها، وهي معروفة، وكلها تدل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وكون أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ وغيره من مرجئة الفقهاء يخالفون النصوص ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان فهذه بدعة، لكنها بدعة في اللفظ، وقد نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في مجموع الفتاوى وغيره عن إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي أنه قَالَ: «**لَفِتْنَتُهِمْ** ـ يعني: الْمُرْجِئَةَ ـ **أَخْوَفُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِتْنَةِالأزارقة**»(٤)، الأزارقة هم الخوارج، لماذا مرجئة الفقهاء أشد من الأزارقة؟

• **الجواب:** أنهم فتحوا أبوابا من الضلال:

١- فتحوا باباً للمرجئة المحضة الجهمية، الذين قالوا أن الأعمال ليست مطلوبة.

٢- وفتحوا باباً للفساق والعصاة لما قالوا إيمان الناس واحد، فإيمان أهل الأرض وإيمان أهل السماء سواء، والتفاوت بينهم في

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

الأعمال والإيمان واحد، فإيمان أفسق الناس وأعبد الناس واحد، فيأتي السكير العربيد ويقول أنا مؤمن إيماني كامل كإيمان جبريل وميكائيل، وكإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قيل له أبو بكر وعمر عندهم أعمال عظيمة قال مالي دعوة في الأعمال، فإن الأعمال شيء والإيمان شيء، فأنا مصدق وأبو بكر مصدق فإيماننا واحد، أما الأعمال فشيء آخر، فالذي فتح هذا الباب مرجئة الفقهاء الذين قالوا: الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان.

الوجه الثاني: أن مراده من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين الذين سلكوا مسلك الأشاعرة ومسلك التصوف، ليس المراد المتقدمين من أتباع أبي حنيفة.







الخاتمة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(آخره والحمد الله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل).



وفق الله الجميع لطاعته وثبت الله الجميع على الهدى ورزق الله الجميع العلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





ملاحق





الملحق (١)

المذاهب نشأت بسبب نقل تلاميذ هؤلاء الأئمة لروايات الأئمة وأقوالهم وهم ينهونهم عن كتابة أقوالهم، لكن التلاميذ يكتبون كلام الأئمة، والأئمة ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ يعملون بنصوص الكتاب والسنة وتختلف أفهامهم في نصوص الكتاب والسنة وقد يبلغ أحدهم من الحديث ما لا يبلغه الآخر، وقد يصح عند أحدهم من الأحاديث ما لا يصح عند الآخر فلذلك حصل الاختلاف في الفروع، ولهذا تجد الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ في بعض المسائل له سبع روايات ينقلها التلاميذ، وتُنقل هذه الروايات، ومعلوم أن مذهبه هو القول الأخير؛ لكن قد لا يعلم القول الأخير من القول الأول، فتنقل هذه الأقوال للأئمة فيأتي الأصحاب بعدهم ويرجحون روايات بعضهم على بعض ويأخذون ما قام عليه الدليل، وكذلك الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ له قولان، القول القديم في العراق والقول الجديد في مصر ـ وهذا مشهور عند أهل العلم ـ، وكذلك الإمام مالك و الإمام أبي حنيفة كلهم تكون لهم الأقوال بسبب فهمهم للأحاديث وبسبب ما بلغهم من النصوص.







الملحق (٢)

■ **السؤال الأول: ما نصيحة شيخنا العلامة عبدالعزيز الراجحي للشباب من أهل السنة والجماعة الذين انشغلوا ببعضهم البعض؟**

● **الجواب:** أنا لست علامة، وأستغفر الله، ولكني لازلت أتعلم وأستفيد فأرجو من إخواني ألا يذكروا هذا اللقب فإني لا أستحقه، ونصيحتي للشباب أن يقبلوا على طلب العلم وعلى حلقات الدروس في المساجد وعلى المعاهد والكليات الشرعية وأن يأخذوا العلم من كل وسيلة ومن كل طريق، من طريق القراءة في كتب أهل العلم وأهل البصيرة القدامى والمعاصرين، مثل سؤال أهل العلم عن طريق المهاتفة أو المشافهة كل هذه من وسائل العلم، كذلك سماع الندوات والمحاضرات في المساجد في إذاعة القرآن، وسماع الأسئلة والأجوبة المفيدة، ونصيحتي أيضا للشباب أن يقبلوا على طلب العلم وأن يتركوا التحزبات التي فرقتهم ودمرتهم وأتعبتهم وحرمتهم العلم هذا سروري هذا سلفي هذا إخواني هذا جامي هذا تكفيري، يلقبون إخوانهم بهذا، فكيف تقول هذا تكفيري وهذا جامي، وكلنا من أهل السنة والجماعة، قل أنا من أهل السنة والجماعة أعمل بكتاب الله وسنة رسوله وأتبع ما عليه السلف من الصحابة والتابعين، ولو قال لك أنت سروري أنت جامي، وأعرض عن هذه التحزبات التي فرقت الشباب ومزقتهم وأوجدت بينهم العداوات والبغضاء والحزازات، فلاشك أن هناك أيدي من الأعداء هي التي تريد تفريق الشباب وتمزيقهم، فالواجب على الشباب الإقبال على طلب العلم والإعراض عن هذه التحزبات.

■ السؤال الثاني: **بعض الإخوة يتطاولون على العلماء ويتهمونهم في نياتهم ويلمزونهم ويقولون هم رؤساء جهال نريد منكم نصيحتهم بارك الله فيكم وتذكرونهم بفضل العلماء؟**

• الجواب: ننصح هؤلاء الذين يقعون في أعراض العلماء بأن يقلعوا عن هذا الأمر، وأن يعلموا أن لحوم العلماء مسمومة، فإن هذا من الغيبة، والغيبة من كبائر الذنوب، وهي كما بينها النبي ﷺ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»[1]، فهذه الغيبة حتى ولو كان هذا الكلام موجوداً فيه، فلا تتكلم فيه ولو كان فيه، بل كلّمه هو واذهب إليه وقل له: أنت قلت كذا، أو فعلت كذا، حتى يبين لك وجه ما فعل أو ما قال، أما أن تتكلم في غيبته، فلا يجوز ولو كان موجوداً فيه، أما إذا كان هذا الشيء ليس موجوداً فيه، فيصير هذا أعظم وهو البهتان، «قِيلَ للنبي ﷺ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[2]، فإذا كان الكلام الذي أنت تكلمت فيه موجوداً فيه فهو غيبة، وإن لم يكن موجوداً فيه فهو بهتان أعظم وأعظم، والله تعالى نفّر من الغيبة والنميمة وبين أن الغيبة مثل أكل لحم الميت هل يستطيع الإنسان أن يأكل لحما ميتا؟ هل تستطيع أن تأكل لحم ميت؟ فكيف إذا كان هذا اللحم لحم إنسان؟ فكيف إذا كان هذا الإنسان هو أخوك المسلم أعظم وأعظم، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحُجرَات: ١٢]، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٨٩).

(٢) سبق في المصدر السابق.

وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[(١)]، وإذا كان الذي اغتيب هم العلماء والأمراء فيكون أعظم؛ لأنه إذا اغتاب بعضُهم العلماءَ نفِر الناس منهم، وإذا نفر الناس من العلماء فممن تؤخذ الفتوى، فهذه مصيبة، فيجب الكف عن أعراض العلماء وذكرهم بالخير وعدم تنفير الناس عنهم، لئلا تحدث فجوة بين العلماء والناس، وإذا حصلت الفجوة، فمعنى ذلك أنهم ما وثقوا بهم ولا أخذوا عنهم دينهم، فصار الناس يتخبطون في الجهالات، فأحد يعمل برأيه، وآخر يأخذ بقول من لا يوثق بقوله.

وكذلك أيضًا غيبة الولاة والحكام والأمراء أعظم من غيبة العامة؛ لأن غيبتهم سبب للخروج على ولاة الأمور، وإذا خرج الناس عليهم نشأت الفوضى والاضطراب واختل الأمن واختلت حياة الناس وأريقت الدماء، وقامت الحروب، وتدخلت الدول الأجنبية، وحصلت فتن وأمور تقضي على الأخضر واليابس، وكل هذا بسبب سب الولاة والحكام ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.



(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْأَدَبِ،بَابٌ فِي الْغِيبَةِ، برقم (٤٨٧٨)، وأحمد في المسند برقم (١٣٣٤٠).

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة